كتاب ختم الاولياء (تبع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

(السؤال الخامس والثلاثون) : ومتى ينكشف لهم سر القدر؟[٧٥] ؟

٧٥) الجواب : اذا كان بصرهم بصر حق ، من قوله تعالى في الحديث (القدسي) الصحيح : « لا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه . فاذا احببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ؛ وبصره الذي يبصر به . فافهم ! » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٥)

« الجواب : سرّ القدر غير القدر . وسرّه عين تحققه في الخلائق ، وانه لا ينكشف لهم هذا السر حتى يكون « الحق بصرهم ». فاذا كان « بصرهم بصر الحق » ، ونظروا الاشياء ببصر الحق ، حينئذ انكشف لهم علم ما جهلوه ؛ اذ كان بصر الحق لا يخفى عليه شيء .

قال تعالى : « ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء . هو الذي يصوركم في الارحام » ، لكونها مظلمة قدح بادراك الاشياء ، فيها « كيف يشاء » من انواع الصور والتصوير ، « لا اله الا هو العزيز » اي المنيع ، الذي نسب لنفسه الصورة لا عن تصوير ولا تصوّر ، « الحكيم » بما تعطيه الاستعدادات المسوّاة لقبول الصور . فيعين لها من الصور ما شاء ، مما قد علم انها مناسبة له .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن ربه تعالى ، انه قال : « ما تقرب الى احد بأحب اليّ من اداء ما افترضته عليه » لانها عبودية اضطرار ، « ولا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل » وهي عبودية اختيار ، « حتى احببته » . اذ جعلها نوافل فاقتضت البعد من الله . فالزم عبودية الاختيار نفسه ، لزوم عبودية الاضطرار ، أحب ! فهذا (الاصل : فهو) معنى قوله تعالى : « حتى احبه » . ثم قال : « فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » الحديث .

و يكشف V . ي القدرة V .

(السؤال السادس والثلاثون) : وأين ينكشف[أ] لهم[٧٦] ؟

(السؤال السابع والثلاثون) : ولمن ينكشف[ب] منهم[٧٧] ؟

(السؤال الثامن والثلاثون) : وما الاذن في الطاعة والمعصية من ربنا[٧٨]؟

فاذا كان الحق ، لهذه الحالة ، بصر العبد كيف يخفى عليه ما ليس يخفى ؟ فاعطته النوافل واللزوم عليها احكام صفات الحق . واعطته الفرائض ان يكون كله نورًا . فينظر بذاته لا بصفته . فذاته عين سمعه وبصره . فذلك وجود الحق لا وجوده . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . »

(فتوحات ٢ : ٦٥)

٧٦) « الجواب : في حضرة الافعال » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٥ أ) .

« الجواب : في حال الافعال عنهم ، والانفعال بهم . وذلك ان من المظاهر من يعلم انه مظهر ؛ ومن المظاهر من لا يعلم انه مظهر ، فيتخيل انه عن الحق اجنبي . وعلامة من يعلم انه مظهر ، ان تكون له مظاهر حيث شاء من الكون ، كقضيب البان . فانه كان له مظاهر فيما شاء من الكون ، (الاصل : لا) حيث ما شاء من الكون . وان من الرجال من يكون له الظهور فيما شاء من الكون لا حيث شاء . ومن كان له الظهور حيث شاء من الكون ، كان له الظهور فيما شاء من الكون . فتكون الصورة الواحدة تظهر في اماكن مختلفة . وتكون الصور الكثيرة على التعاقب تلبس الذات الواحدة في عين المدرك لها .

فاذا حصل الانسان في المكان الذي يعرف فيه تجلي الحق في الصور المختلفة للشخص الواحد او الاشخاص الكثيرين ، فمعرفته بتلك الهيئة لا تكون الا ذوقيًا . ومن عرف مثل هذا ذوقًا كان متمكنًا من الانصاف بمثل هذه الصفة . وهذا هو علم سر القدر ، الذي ينكشف لهم اذا كانوا في هذا المقام ، وبهذه القوة . »

(فتوحات : ٦٥-٦٦)

يلاحظ هنا ان ابن عربي قد اجاب في الفتوحات عن السؤال رقم ٣٦ والسؤال رقم ٣٧ اجابة واحدة ، وذلك بخلاف صنيعه في « الجواب المستقيم » .

٧٧) « الجواب : لمن اصطفاه الله : عاقلًا ، اديبًا ، حكيمًا ، امينًا ، حفيظًا » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٥ أ) .

٧٨) « الجواب : هو الامر المنوط بلا ارادة لا غير » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٥ أ) .

« الجواب : قال تعالى « ان الله لا يأمر بالفحشاء » . فالاذن الذي تشترك فيه الطاعة

[أ] بكشف VF. [ب] يكشف V .

(السؤال التاسع والثلاثون) : وما العقل الاكبر ، الذي قسمت منه العقول لجميع خلقه[٧٦] ؟

والمعصية هو الاذن الالهي في كون المأذون فيه فعلًا لا من طريق الحكم . لان حكمه في الاشياء بالطاعة والمعصية هو عين علمه بها بهذه الحالة : فلا يكون مرادًا ؛ فلا يكون الحكم مأمورًا به . والمحكوم به وعليه هو المراد والمأمور به . فلا يصح الاذن في الطاعة والمعصية من حيث انها طاعة ومعصية .

قال تعالى : « وان تصبهم حسنة يقولوا : هذه من عند الله ؛ وان تصبهم سيئة يقولوا : هذه من عندك . قل : كل من عند الله » ، من حيث انها افعال ، « فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا » . فأنكر عليهم ان تكون السيئة من عند محمد ، صلى الله عليه وسلم . كما قال في موسى : « يطيّروا بموسى ومن معه » . فقال لهم : « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » لا من محمد ، صلى الله عليه وسلم ! فاحتجاجنا في مسألتنا انما هو بقوله : « قل : كل من عند الله » ، فأضاف الكل الى الله ، والكل خير ، وهو بيده ؛ والشر ليس اليه . فأوهم السائل المسؤول بلفظ الطاعة والمعصية ليرى ما عنده من العلم . فانه سؤال ابتلاء منه لمدعي علم الحقائق من طريق الكشف . وقد قررنا هذا الفصل في كتاب « المعرفة » لنا . »

(فتوحات ، ٢ : ٦٦)

٧٩) الجواب : لا يمكن العبارة والشرح عن هذا صراحًا . فانا لا نعلم لذلك عبارة الا عبارة قوم مذمومي (في الاصل : مذمومين) الطريقة ، عند اهل الشرع . فان اوردناها هنا ، ربما يقوم الجاهل فينسبنا اليهم . ونحن على غير ما هم عليه في المسائل ، التي اخطأوا (في الاصل : اخطؤا) فيها . ولكن اضرب لك مثالًا تفهم منه المقصود . وذلك ان السراج يفيدُ منه جميع من في الأرض ؛ وهو لا ينقص منه شيء . وهو في كل سراج بحقيقته . وعظمُ في ذلك بقدر عظم الفتيلة وصغرها . فاذا نظرت الى هذه الافراد وهذه الكثرة ، نسبت اليه الكثرة . لا انه كثر في نفسه ، ولا انه انتقص منه لما اخذ منه . وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام : « اول ما خلق الله العقل ، وهو قسم العقول مكيلًا : امدادًا وأقنزعه . كما ورد في الخبر ، ان صح ذلك الخبر . فاني على يقين من علم القسمة وكيفيتها ، ما انا على علم من صحة الخبر ، من حيث نقل اللفظ خاصةً . »

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٥ و — ٢٦٥ ظ) .

« الجواب : لما كان (الاصل : + في) نفس الأمر يقتضي ان يكون مراتب المعلومات ، من الممكنات ، ثلاثًا . مرتبة للمعاني المجردة عن المواد التي من شأنها ان تدرك بالعقول

[٧٦] قس ٧ .

بطريق الأدلة والبداية (لعل الصواب : البداهة) . ومرتبة من شأنها ان تدرك بالحواس ، وهي المحسوسات . ومرتبة من شأنها ان تدرك بالعقل او الحواس وهي المتخيلات . وهي تشكل المعاني في الصور المحسوسة ؛ تصورها القوة المصورة ، الخادمة للعقل ؛ يقتضي ذلك ان يسمى الطبيعة فيما ينشأ منها من الاجسام الإنسانية والحيوانية .

فلما ان شاء الله ان يوضح للمكلفين من عباده اسباب سعادتهم ، على ألسنة رسله من البشر اليهم ، بوساطة الروح العلوي ، المنزل بذلك على قلوب بعض البشر ، المسمين رسلا وانبياء — اجرى المعاني في المخاطبات مجرى المحسوسات في الصور ، التي تقبل التجزي والانقسام والقلة والكثرة . وجعل محل ذلك حضرة الخيال . فحصروا المعاني في الخطاب . فتلفتها بالتشبيه العقول ، كما تتلقى بالمحسوسات التي شبهت بها هذه المعاني ، التي ليس من شأنها ، بالنظر الى ذاتها ، ان تكون متجزئة او منقسمة او قليلة او كثيرة او ذات حد ومقدار وكيف وكم .

وجعل لنا الدليل على قبول ما اتى به من هذا القبيل في هذه الصور ما يراه النائم في نومه من « العلم في صورة اللبن » . فيشربه « حتى يرى الري يخرج من اظفاره فقيل له : ما اولته يا رسول الله ؟ » يريد ما تؤول (الاصل : تؤول) اليه صورة ما رأيت ؟ « فقال : العلم » . ومعلوم ان العلم ليس بجسم يسمى لبنا ، ولا هو لبن . وانما هو معنى مجرد عن الصور ، التي من شأنها ان تدركها الحواس .

فكان منها ما قال الشارع في تقسيم العقول على الناس ، كما تقسم الحبوب . فمن الناس من حصل له من العقل ، المثل في الصور التي من شأنها ان تكال ، القفيز والقفيزين والاكثر والأقل ؛ — والمد والمدين والاكثر من ذلك والأقل ، ليبين بهذا تفاضل الناس في العقول ، لانه المشهور عندنا . لأنا نرى اشخاصا كلهم يتصفون بأنهم عقلاء ، ذوو احلام ، فمنهم من يدرك عقله غوامض الاسرار والمعاني ، ويحمل صورة الكلمة الواحدة من الحكيم على خمسين وجها ومائة واكثر واقل ، من المعاني الغامضة والعلوم العالية المتعلقة بالجناب الالهي او الروحاني او الطبائع او العلم الرياضي او الميزان المنطقي . وعقل شخص ينزل عن هذه الدرجة الى ما هو اقل . وآخر ينزل دون هذا الاقل . وعقل آخر يعلو فوق هذا الاكبر .

فلما شاهدنا تفاوت العقول ، احتجنا ان نقسمها على الاشخاص ، تقسيم الذوات التي تقبل الكثرة والقلة . ويسمى المتى القابل لهذه القسمة المعنوية العقل الاكبر (الاصل : الأكثر) اي الذي قسمت منه هذي العقول ، التي في العقلاء من الموجودات بحسب ما بينهم من التفاوت .

وصورة تكوين العقول من هذا العقل الاكبر ، في تحقيق الامر بطريق التمثيل والتشبيه الاقرب الى المناسب ، بالسراج الاول . فتوقد منه جميع القتائل ، فتتعدد السرج بعدد القتائل ، فتتعدد السرج بعدد القتائل ، وتقبل القتائل من نور ذلك السراج بحسب استعداداتها .

(السؤال الاربعون) : وما صفة آدم ، عليه السلام[٨٠] ؟

فتيلة طبيعية ، في غاية النظافة ، صافية الذهن ، واقرة الجسم ، يكون قبولها اعظم ، في اتساع النور وفي كمية جسم النور ، واكبر من فتيلة نزلت عن هذه في الصفة من النظافة والصفاء . فكان التفاوت بين الانوار بحسب استعدادات الفتائل .

ومع هذا فلم ينقص من السراج الاول شيء ، بل هو كماله كما كان . وكل سراج من هذه السرج يضاهيه ويقول : انا مثله ؛ وبأي شيء فضل علي به ؟ واما يؤخذ مني كما يؤخذ منه . ويصول ويقول ! وما يرى فضله عليه — من وجه — انه الاصل وله التقدم ؛ و(الوجه) الثاني انه في غير مادة ؛ ولا واسطة بينه وبين ربه . وما عداه ، فلم يظهر له وجود الا به وبالمواد التي قلبت الاشتمال منه . فظهرت اعيان العقول . وهذا كله غاب عنها ؛ بل ما لها فيه ذوق . كيف يدرك من لا وجود له الا بين اب وام حقيقة من كان وجوده عن غير واسطة ؟

واذا كانت العقول تعجز عن ادراك العقل الاول ، التي ظهرت عنه ، فعجزها عن ادراك خالق العقل الاول — وهو الله تعالى ! — أعظم . فانه « اول ما خلق الله العقل » وهو الذي ظهرت منه هذه العقول ، بوساطة هذه النفوس الطبيعية . فهو أول الآباء . وسماه الله في كتابه العزيز « الروح » واضافه اليه فقال ، في حق النفوس الطبيعية وحق هذا الروح وحق هذه الارواح الجزئية ، التي لكل نفس طبيعية : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » وهو هذا العقل الاكبر . ولهذا يقال فيه : العقل الغريزي . معناه الذي اقتضته هذه النشأة الطبيعية باستعدادها ، الذي هو عبارة عن تسويتها وتعديلها لقبول هذا الامر .

واعلم ان اصل كل متكثر الواحد . فالاجسام ترجع الى جسم واحد . والانفس ترجع الى نفس واحدة . والعقول ترجع الى عقل واحد . ولكن لا يكون من الواحد الكثرة بمجرد أحديته ، بل بنسب اذا تأملت ما ذكرناه ، وجدته كذلك . فيكون كأن ذلك الواحد انقسم الى هذه الكثرة ، لا انه انقسم في نفسه ؛ اما لكونه لا يقبل القسمة كالنفوس والعقول والاصل المرجوع اليه ؛ واما لكونه في قوته ان تكون منه هذه الكثرة من غير ان ينقص منه من حيث جسميته ، كالجسوم التي يتولد عنها الحيوان بماء او ريح : فذلك الماء او الريح ليس هو من حد هذا الجسم ، الذي تكون عنه ما تكون . »

(فتوحات ، ٣ : ٦٦-٦٧)

٨٠) « الجواب : التردد (في الاصل : المتردد) بين الامرين على السواء (في الاصل : السوا) ، من غير زيادة قدم ؛ لاقامة ميزان العدل . واليها رجوع (في الاصل : مرجوع) الخلق . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٥ ب) .

ث + خلق V .

. (السؤال الحادي والاربعون) : وما تولته[٨١] ؟

« الجواب : ان شئت ، صفة الحضرة الالهية . وان شئت ، مجموع الاسماء الالهية . وان شئت ، قول النبي صلى الله عليه وسلم ! « ان الله خلق آدم على صورته » . هذه صفته . فانه لما جمع له في خلقه بين « يديه » علمنا انه قد اعطاه صفة الكمال : فخلقه كاملاً جامعاً . ولهذا قيل « الاسماء كلها » . فانه مجموع العالم من حيث حقائقه . فهو عالم مستقل . وما عداه ، فانه جزء من العالم . ونسبة الانسان الى الحق ، من جهة باطنه ، اكمل في هذه الدار الدنيا . واما في النشأة الآخرة ، فان نسبته إلى الحق ، من جهة الظاهر والباطن . واما الملك ، فان نسبته ، من جهة الظاهر ، الى الحق اتم . ولا باطن للملك . — ولكن (نسبة الانسان او العالم) الى الحق من حيث هو (الى الحق) مسمى الله ، لا من حيث ذاته . فانه من حيث ذاته هو لذاته ، ومن حيث مسمى الله يطلب العالم . فكان العالم لم يعلم من الحق سوى المرتبة ، وهي كونه الاها (و) ربا . ولهذا لا كلام له فيه الا في هذا النسب والاضافات .

وسمّى بآدم لحكم ظاهره عليه . فانه ما عرف منه سوى ظاهره . كما انه ما عرف من الحق سوى الاسم « الظاهر » : وهو المرتبة الالهية . فالذات مجهولة . وكذلك كان آدم عند العالم ، من الملائكة فمن دونهم ، مجهول الباطن . وانما حكموا (الملائكة) عليه بالفساد ، اي بالافساد ، من ظاهر نشأته ؛ لما رأوها قامت من طبائع مختلفة ، متضادة ، متنافرة . فظنوا انه لا بد ان يظهر اثر هذه الاصول على من هو على هذه النشأة . فلو علموا باطنه ، وهو حقيقة ما خلقه الله عليه من « الصورة » — لرأوا الملائكة جزءا من خلقه . فجهلوا اسماءه الالهية ، التي نالها جنده الجسمية ، لما كشف له عنه فابصر ذاته ؛ فعلم مستنده في كل شيء ومن كل شيء .

فالعالم كله تفصيل آدم . وآدم هو الكتاب الجامع . فهو للعالم كالروح من الجسد . فالانسان روح العالم ، والعالم الجسد . فالمجموع يكون العالم كله هو الانسان الكبير ؛ والانسان فيه . واذا نظرت في العالم وحده ، دون الانسان ، وجدته كالجسم المسوّى بغير روح . وكمال العالم بالانسان . مثل كمال الجسد بالروح . والانسان منفوخ في جسم العالم . فهو المقصود من العالم . واتخذ الله الملائكة رسلا اليه . ولهذا سماهم ملائكة ، اي رسلا ، من المألكة وهي الرسالة . فان اخذت الشرف بكمال الصورة ، قلت : الانسان اكمل . وان اخذت الشرف بالعلم بالله ، من جانب الحق لا من طريق النظر ، فالافضل والاشرف من شرّفه الله بقوله : « هذا افضل عندي » . فانه لا تحجير عليه ان يفضل من شاء من عباده . فان العلم بالله ، الذي يقع به الشرف ، لا حد له ينتهي اليه . »

(فتوحات ، ٢ : ٦٧)

٨١) « كونه موضع النظر وتنفيذ الامر » (الجواب المستقيم ورقة ٣٦ ظ).

«الجواب: «ان الله تولاه بثلاث. منها توليته في «خلقه بيديه». ومنها ما «علمه من الاسماء» التي ما تولى بها ملائكة. ومنها الخلافة، وهي قوله (تعالى): «اني جاعل في الارض خليفة».

فان كان قوله: «خليفة» لقوله: «وفي الارض اله» فهو نائب الحق في ارضه، وعليه يقع الكلام. وان اراد بالخلافة، انه يخلف من كان فيها، لما فقد — فنحن بصدد ذلك. وكان المقصود النيابة عن الحق بقوله: «خليفة» لقولهم: «من يفسد فيها ويسفك الدماء». وهذا لا يقع الا ممن له حكم، ولا حكم الا لمن له مرتبة التقدم وانفاذ الأوامر.

فاما مقصود السائل، فانه يريد الخلافة، التي هي بمعنى النيابة عن الله في خلقه. فأقامه بالاسم الظاهر، واعطاه علم الاسماء، من حيث ما هي عليه من الخواص، التي يكون عنها الانفعالات، فيتصرف بها في العالم تصرفها. فان لكل اسم خاصة من الفعل في الكون، يعلمها من يعلم علم الحروف وترتيبها، من حيث ما هي مرقومة، ومن حيث ما هي متلفظ بها، ومن حيث ما هي متوهمة في الخيال.

فمنها ما له اثر في العالم الأعلى وتنزيل الروحانيات بها، اذا ذكرت او كتبت في عالم الخلق. ومنها ما له اثر في العالم الجبروتي، من الجن الروحاني. ومنها ما يؤثر ذكره في خيال كل متخيل وفي حس كل ذي حس. ومنها ما له اثر في الجانب الاحمى الاعلى، الذي هو موضع النسب. ولا يعرف هذا التأثير الواحد واسماءه الا الأنبياء والمرسلون، سلام الله عليهم! وهي اسماء التشريع؛ والعمل بتلك الشرائع هو المؤثر في هذا الجناب النبي، وهو جناب عزيز لا يشعر به. جعله الحق ووضع اسراره ومجلى تجلياته. وهو الذي يعطي النزول والاستواء والمعية والفرح والضحك والمقدار، وما يفهم منه من الآلات التي لا تكون الا لذوات المقادير والكميات والكيفيات.

وقال تعالى: «وهو الذي في السماء اله»: فجاء بالهوية بما ينبغي ان يظهر به في السموات من الالوهية، بالاسم الذي يخصها. «وفي الأرض اله»: بالإسم الذي ينبغي ان يظهر به في الأرض، من كونه إلاهاً. فكان آدم نائباً عن هذا الإسم. وهذا الإسم هو باطنه، وهو المعلم له علم التأثيرات التي تكون عن الأسماء الالهية، التي تختص بالأرض، حيث كانت خلافته فيها. وهكذا هو كل خليفة فيها. ولهذا قال: «جعلكم خلائف في الأرض» اي يخلف بعضنا بعضاً فيها، في تلك المرتبة، مع وجود التفاضل بين الخلفاء فيها. وذلك لاختلاف الأزمان واختلاف الأحوال. فيعطي هذا الحال والزمان من الأمر ما لا يعطيه الزمان والحال الذي كان قبله والذي يكون بعده.

ولهذه اختلفت آيات الأنبياء باختلاف الأعصار. فآية كل خليفة ورسول من نبة ما هو الظاهر والغالب على ذلك الزمان واحوال علمائه، اي شيء كان: من طب او سحر

او فصاحة ، وما شاكل هذا . وهو قوله (تعالى) : « ورفع بعضكم فوق بعض درجات » . يقول للخلفاء : « ليبلوكم فيما آتاكم . ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم » . وهاتان الصفتان لا تكونان الا لمن بيده الحكم والأمر والنهي .

فهذا النسق يقوّي انه اراد خلافة السلطنة والملك . وهي التولية الإلهية ؛ واعظم تأثيراتها الفعل بالهمة ، من حيث ان النفس ناطقة لا من حيث الحروف والصوت المتاد في الكلام اللفظي . فان الهمة — من غير نطق النفس ، بالنطق الذي يليق بها ، وان لم يشبه نطق اللسان — لا يكون عنها انفعال بوجه من الوجوه ، عند جماعة من اصحابنا . وأوقعهم في هذا الاشكال حكم النيابة عن الله : الذي اذا اراد شيئاً ، وهو المعبّر عنه فينا بالهمة : « ان يقول له : كن ، فيكون ! » ، وهو المعبّر عنه فينا بالنطق او الكلام بحسب ما يليق بالمنسوب اليه ذلك فما اكتفى ، سبحانه ! في حق نفسه بالارادة حتى قرن معها القول ، وحينئذ وجد التكوين . ولا يمكن ان يكون النائب عنه ، وهو الخليفة ، بابلغ في التكوين ممن استخلفه . فلهذا لم يقتصروا على الهمة دون نطق النفس .

وأما نحن ، فنقول جذا في موطنه ، وهو صحيح . غير ان الذات غاب عنهم ما تستحقه ، لكون المرتبة لا تنقل دونها . فكان كون المرتبة انما هو عن الذات ، بلا شك ، لان الذات تطلبها طلباً ذاتياً ، لا طلباً يتوقف على همة وقول . بل عين همتها وقولها هو عين ذاتها . فكون الالوهة لما هو ما يكون عن ذات الخليفة ، من حيث انها ذات خليفة . فهي الذات الخلافية ، لا ذات الخلق التي هي نشأة جسمه وروحه . ومع هذا ، فلا بد من النسب الثلاث لوجود التكوين عقلاً ، في موازين العلوم ، وشرعاً . فاما في العقل ، فأصحاب الموازين يعرفون ذلك . واما في الشرع ، فانه قوله : « انما قولنا » ، فهذا الضمير ، الذي هو « النون » ، من « قولنا » عين وجود ذاته تعالى وكناية عنه . فهو امر واحد . وقوله : « اذا اردناه » امر ثان . وقوله : « ان نقول له كن » امر ثالث . فذات ، مريدة ، قائلة ، يكون عنها التكوين بلا شك ! فالاقتدار الالهي ، على التكوين ، لم يقم الا من اعتبار ثلاثة امور شرعاً .

وكذلك هو الانتاج في العلوم بترتيب المقدمات ؛ وان كانت كل مقدمة مركبة من محمول وموضوع ، فلا بد ان يكون احد الأربعة يتكرر ، فيكون في المعنى ثلاثة وفي التركيب اربعة . فوقع التكوين عن الفردية ، وهي الثلاثة لقوة نسبة الفردية الى الاحدية . فبقوة الواحد ظهرت الاكوان . فلو لم يكن الكون عينه لما صح له ظهور . فالوجود المنسوب الى كل مخلوق هو وجود الحق ، اذ لا وجود للممكن . لكن الممكنات قوابل لظهور هذا الوجود .

فتدبر ما ذكرناه في هذه التولية ، التي سأل عنها سيدنا وابن سيدي ايدا ، محمد بن علي

(السؤال الثاني والاربعون) : وما فطرته[٨٣] ؟

الترمذي في كتاب «ختم الأولياء» له ، وهي هذه المسائل التي اذكرها في هذا الباب .»
(فتوحات ، ٣ : ٦٧٠-٦٩)

٨٣) «الجواب : عين الامر الذي وقع به التمييز (الميز : في الاصل) بين الصورتين.»
(الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٥ ب) .

«الجواب : ان اراد فطرته من كونه انساناً ، فله جواب . او من كونه خليفة ، فله جواب . او من كونه انساناً خليفة فله جواب . او من كونه لا انسان ولا خليفة ، فله جواب ؛ وهو اعلاها نسبة .

فانه اذا كان حقاً مطلقاً ، فليس بانسان ولا خليفة كما ورد في الخبر : «كنت سمعه وبصره». فأين الانسانية هنا ، اذ لا اجنبية ؟ وأين الخلافة هنا ؟ وهو الامر بنفسه . فاثبتك وعماك ، وأضلك وهداك : اي حيّرك فيما بيّن لك ! فما تبينت الا الحيرة ، فعلمت ان الأمر حيرة . فمن الهدى متعلقة الضلال . فقال : انت ، وما أنت ، «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى» . وما رمى الا محمد : فما رمى الا الله ! فأين محمد ؟ فجاء ، واثبته ثم محاه : فهو مثبت بين محوين ، محو ازلي وهو قوله : «وما رميت» ؛ ومحو ابدي وهو قوله : «ولكن الله رمى» . واثباته هو قوله : «اذ رميت» .

فاثبات محمد في هذه الآية ، مثل «الآن» الذي هو الوجود الدائم بين الزمانين : بين الزمان الماضي : وهو نفي عدم محقق ؛ وبين الزمان المستقبل ، وهو عدم محض . وكذلك ، ما وقع الحس والبصر الا على رمي محمد ، فجعله وسطاً ، بين محوين ، مثبتاً ؛ فأشبه «الآن» الذي هو عين الوجود (الزماني) . والوجود انما هو وجود الله لا وجوده . فهو سبحانه الثابت الوجود في الماضي والحال والاستقبال . فزال عند التقييد المتوهم . فسبحان اللطيف الخبير ، ولهذا قال : «وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً !» . فجاء بالعبرة ، اي قلنا هذا اختياراً للمؤمنين في ايمانهم ، لما (الاصل : لنا) في ذلك من تناقض الامور الذي يزلزل ايمان من في ايمانه نقص ، مما يستحقه الايمان من رتبة الكمال ، الذي في «اعطى كل شيء خلقه». فهذا الجواب عن الوجه الرابع ، الذي هو اصعب الوجوه ، قد بان .

فأما فطرته ، من حيث ما هو انسان ، ففطرته العالم الكبير . واما فطرته ، من حيث ما هو خليفة ، ففطرته الاسماء الالهية . واما فطرته من حيث ما هو انسان – خليفة ، ففطرته ذات منسوب اليها مرتبة ، لا تعقل المرتبة دونها ، ولا تعقل هي دون المرتبة . قال تعالى : «فاطر السماوات والارض» . وهو قوله : «كانتا رتقاً ففتقناهما» . والفطر الشق . وقال تعالى : «فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله» وهو الفطرة . كما انه لا تبديل

(السؤال الثالث والاربعون) : وما الفطرة[٨٣] ؟

[٨٢] « كلمات الله » وهو قوله : « ما يبدل القول لديّ » . اي قولنا واحد ، لا يقبل التبديل وقال ، صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة » . فالالف واللام هنا للعهد . اي الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وقد تكون الالف واللام لجنس الفطر كلها ، لان الناس ، اي هذا الانسان ، لما كان مجموع العالم – ففطرته جامعة لفطر العالم : ففطرة آدم فطر جميع العالم . فهو يعلم ربه ، من حيث كل علم نوع من العالم ، من حيث هو عالم ذلك النوع بربه ، من حيث فطرته . وفطرته ما يظهر به عند وجوده من التجلي الالهي ، الذي يكون له عند ايجاده . ففيه استعداد كل موجود من العالم : فهو العابد بكل شرع ، والمسبح بكل لسان ، والعامل لكل تجلٍّ (الاصل : تجلي) اذا وفى حقيقة انسانيته وعلم نفسه . فانه لا يعلم ربه الا من علم نفسه .

فان حجبه شيء منه عن درك كله ، فهو الجاني على نفسه وليس بانسان كامل . ولهذا قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « كمل من الرجال كثيرون ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية » . يعني بالكمال معرفتهم بهم . ومعرفتهم بهم هو عين معرفتهم بربهم .

فكانت فطرة آدم علمه به ، فعلم جميع الفطر . ولهذا قال : « وعلم آدم الاسماء كلها » . و« كل » يقتضي الاحاطة والعموم ، الذي يراد به في ذلك الصنف . واما الاسماء الخارجة عن الخلق والنسب فلا يعلمها الا هو ، لانه لا تعلق لها بالاكوان .

وهو قوله ، عليه السلام : في دعائه : « او استأثرت به في علم غيبك » يعني به من الاسماء الالهية . وان كان معقول الاسماء مما يطلب الكون ، ولكن الكون لا نهاية لتكوينه : فلا نهاية لاسمائه . فوقع الايثار في الموضع الذي لا يصح وجوده ، اذ كان حصر تكوين ما لا يتناهى محال . واما الذات ، من حيث هي ، فلا اسم لها اذ ليست محل اثر ولا معلومة لاحد . ولا ثَمَّ اسم يدل عليها ، منزّه عن نسبة ولا بتسكين . فان الاسماء للتعريف والتمييز ، وهو باب ممنوع لكل ما سوى الله : فلا يعلم الله الا الله !

فالاسماء بنا ولنا . ومدارها علينا . وظهورها فينا . واحكامها عندنا . وغاياتها البنا . وعباراتها عنّا . وبداياتها منّا !

فلولاها لما كنا ولولانا لما كانت
بها بنا وما بنا كما بانت وما بانت
فان خفيت لقد جلت وان ظهرت لقد زانت

(فتوحات ٢ : ٦٩–٧٠)

[٨٣] « الجواب : يريد (الفطرة) التي فُطِرَ الناسُ عليها ، التي لا تقبل التبديل . بخلاف الفطرة التي تقبل التبديل : « فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » . والاصل الاسلام .

. (السؤال الرابع والاربعون) : ولِمَ سمّاه بشرًا[٨٤] ؟

فان بقي عليه ، بقي على الفطرة . واما الفطرة التي لا تقبل التبديل ، فهو قوله : « وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه » . فالامر الذي يطلب ذلك من الموجودات هو الفطرة ، لانه حقيقة لها (في الاصل : له) » (الجواب المستقيم ورقة ٣٦٥) .

« الجواب : النور الذي تشق به ظلمة الممكنات ، ويقع به الفصل بين الصور . فيقال : هذا ليس هذا . اذ قد يقال : هذا عين هذا ، من حيث ما يقع به الاشتراك .

فالحمد لله فاطر السموات والارض » هو قوله : « الله نور السموات والارض » . والعالم كله سماء وارض ، ليس غير ذلك . وبالنور ظهرت .

قوله : « وبالحق انزلناه وبالحق نزل » . والله مظهرها ، فهو نورها . فظهور المظاهر هو الله ؛ فهو فاطر السموات والارض . ففطر السماء والارض به ؛ فهو فطرها .

والفطرة (هي) التي فطر الناس عليها . « فكل مولود يولد على الفطرة » .

« ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ! » فما فطرهم الا عليه . ولا فطرهم إلا به . فيه تميزت الاشياء وانفصلت وتميّنت . والاشياء في ظهورها الاهي لا شيء . فالوجود وجوده . والعبيد عبيده . فهم العبيد من حيث اعيانهم . وهم الحق من حيث وجودهم . فما تميز وجودهم من أعيانهم الا بالفطرة ، التي فصلت بين العين ووجودها . وهو من انمض ما يتعلق به علم العلماء بالله . كشفه عسير وزمانه يسير ! » فتوحات : ٢ : ٧٠)

٨٤) « الجواب : لتولية خلقه يديه ، بغير واسطة ؛ على حسب ما يليق بجلال جانب الحق سبحانه ، ومن غير تشبيه ولا تكييف » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٥)

« الجواب : قال تعالى : « ما منعك ان تسجد لما خلقت بيديّ » ؟ على جهة التشريف الالهي . فقرينة الحال تدل على مباشرة خلقه بيديه ، بحسب ما يليق بجلاله . فسماه بشرًا لذلك . اذ اليد بمعنى القدرة ، لا شرف فيها على من شرف عليه . واليد بمعنى النعمة ، مثل ذلك . فان النعمة والقدرة عمّت جميع الموجودات . فلا بد ان يكون لقوله : « بيديّ » امر معقول ، له خصوص وصف بخلاف هذين . وهو المفهوم من لسان العرب ، الذي نزل القرآن بلغتهم . فاذا قال صاحب اللسان : انه فعل هذا بيده ، فالمفهوم منه رفع الوسائط .

فكانت نسبة آدم ، في الجسوم الانسانية ، نسبة العقل الاول في العقول . ولما كانت الاجسام مركبة ، طلبت اليدين لوجود التركيب . ولم يذكر ذلك في العقل الاول ، لكونه غير مركب . فاجتمعا في رفع الوسائط . وليس بعد رفع الوسائط في التكوين مع ذكر اليدين الا امر من اجله سمّي بشرًا . وسرّ هذه الحقيقة في البنين فلم يوجد احد

منهم الا عن مباشرة . ألا ترى وجود عيسى ، عليه السلام ! لما تمثل لها الروح « بشرًا سويًا » ؟ فجعله واسطة بينه تعالى ، وبين مريم في ايجاد عيسى ، تنبيهًا على المباشرة بقوله : « بشرًا سويًا » .

قال تعالى : « ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد » . وبشرة الشيء ظاهره . والبشرى اظهار علامة حصولها في البشرة . فقوله للشيء : « كن ! » بالحرفين : الكاف والنون ، بمنزلة اليدين في خلق آدم . فأقام القول للشيء مقام المباشرة ؛ وأقام الكاف والنون مقام اليدين ؛ وأقام الواو المحذوفة ، لاجتماع الساكنين ، مقام الجامع بين اليدين في خلق آدم . وأخفى ذكره كما خفيت الواو من « كن » . غير ان خفاءها في « كن » لامر عارض ، وخفاء الجامع بين اليدين لاقتضاء ما تعطيه حقيقة الفعل . وهو قوله : « ما اشهدتهم خلق السموات والارض » ، وهو حال الفعل . لانه ليس في خلائق ما سوى الله ما يعطي ذلك المشهد . فلا فعل لاحد سوى الله . ولا فعل عن اختيار واقع في الوجود . فالاختيارات المذمومة في العالم من عين الجبر . فهم المجبورون في اختيارهم . والفعل الحقيقي لا جبر فيه ولا اختيار . لان الذات تقتضيه . فتحقق ذلك !

فلمباشرة الوجود المطلق الأعيان الثابتة ، لظهور الوجود المقيَّد ، سمّى الوجود المقيَّد بشرًا . واختص به الانسان لانه أكمل الموجودات خلقًا . وكل نوع من الموجودات ليس له ذلك الكمال في الوجود . فالانسان اتم المظاهر . فاستحق اسم البشر ، دون غيره من الاعيان .

واما قوله تعالى : « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيًا أو من وراء حجاب او يرسل رسولًا فيوحي باذنه ما يشاء انه عليّ حكيم » . فسمّى المكلّم هنا بشرًا ، بهذه الضروب كلها من الكلام ، لما يباشره من الامور الشاغلة له عن اللحوق برتبة الروح ، التي له من حيث روحانيته . فان ارتقى عن درجة البشرية ، كلمه الله من حيث كلّم الارواح . اذ كانت الارواح اقوى في التشبيه . لكونها لا تقبل التحيز والانقسام ؛ وتتجلى في الصور من غير ان يكون لها باطن وظاهر . فما لها سوى نسبة واحدة من ذاتها ، وهي عين ذاتها . والبشر ، من شأنه ليس كذلك : فانه على صورة العالم كله . ففيه ما يقتضي المباشرة والتحيز والانقسام ، وهو مسمّى البشر ؛ وفيه ما لا يطلب ذلك وهو روحه المنفوخة فيه . وعلى بشريته توجهت اليدان ، فظهرت الشفعية في اليدين في شأنه . فلا يسمع كلام الحق ، من كونه بشرًا ، الا بهذه الضروب التي ذكرها (الله تعالى في القرآن) أو بأحدها . فاذا زال في نظره عن بشريته ، وتحقق بمشاهدة روحه ، كلمه الله بما يكلم به الارواح المجردة عن المواد . مثل قوله تعالى في حق محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وفي حق الاعرابي : « فأجره حتى يسمع كلام الله » . وما تلاه عليه غير لسان محمد ،

(السؤال الخامس والاربعون) : وبأي شيء نال التقدمة على الملائكة =) حتى أوهم بالسجود له[٨٤] .

صلى الله عليه وسلم ! فأقام محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، في هذه الصورة ، مقام الروح الامين الذي نزل بكلام الله على قلب محمد ، صلى الله عليه وسلم ! وهو قوله : «او يرسل رسولاً» يعني لذلك البشر ، « فيوحي اليه باذنه ما يشاء » الله تعالى مما امره أن يوحي به اليه .

فقوله (تعالى) : « إلا وحياً » يريد هنا الهاماً بعلامة يعلم بها ان ربه كلّمه ، حتى لا يلتبس عليه الأمر . « او من وراء حجاب » ، يريد اسماعه اياه لحجاب الحروف المقطعة . والأصوات ، كما سمع الاعرابي القرآن المتلوّ ، الذي هو كلام الله ؛ او حجاب الآذان ايضاً من السامع . او حجاب بشرية مطلقاً ، فيكلّمه في الاشياء كما كلّم موسى « من جانب الطور الايمن في البقعة المباركة ، من الشجرة : ان يا موسى ؛ اني انا الله ! » فوقع الحد بالجهة وبين البقعة ، لشغله بطلب النار ، الذي تقتضيه بشريته . فنودي في حاجته لافتقاره اليها .

والله قد اخبر ان الناس فقراء الى الله . فتسمّى الله في هذه الآية باسم كل ما يفتقر اليه ، غيرةً الاهية ان يفتقر الى غير الله . فتجلى الله له في عين صورة حاجته . فلما جاء اليها ناداه منها فكان في الحقيقة فقره الى الله . والحجاب وقع بالصورة ، التي وقع فيها التجلي . فلولا ما ناداه ما عرفه . وفي مثل هذا يقع التجلي الالهي في الآخرة ، الذي يقع فيه الانكار .

وقوله (تعالى) إنه : « عليٌّ » اي عليم بما تقتضيه المراتب ، التي ذكرها وانزلها منزلتها . وقوله : « حكيم » يريد بانزال علمه ومنزلته . ولو بدّل الامر لما عجز عن ذلك . ولكن كونه علياً حكيماً » يقضي بان لا يكون الامر إلا كما وقع .

ولما اخبر (الله تعالى) نبيّه جذه المراتب كلها ، التي تطلبها البشرية ، قال له : «وكذلك» -الى ومثل ذلك« اوحينا اليك روحاً من امرنا » يعني الروح الامين ، الذي نزل به على قلبك ، الذي هو روح القدس ، اي الطاهر عن تقييد البشر !

فقد علمت معنى البشر ، الذي اردنا ان نبينه لك بما تقتضيه هذه اللفظة بالسان العربي .»

(فتوحات ٣ : ٧٠ - ٧١)

٨٥) « الجواب : بالصورة ، فانه كل العالم . وله من الحق امداد خاص ، من حيث نشأته ، يقتضي له (في الاصل : + ذلك الامداد) التقدم على سائر اجناس العالم . فما في العالم جنس الا وهو بعض للانسان اذ في الانسان ما بحائله . وبهذا الامداد حصل الفرق

= الولاية V .

بين الكامل والناقص ، من هذا الجنس الانساني . وقد نبه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، على هذا بقوله : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء سوى آسية ، امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران » . فليس له التقدم بكونه انسانًا فقط ، لمشاركة مثله له في ذلك ، بل بهذا الامداد الخاص ، وهو الذي يقتضي له كمال الصورة . فنال بها الصورة الرفيعة العالية المنار ، الظاهرة بالآثار . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٥-٣٦٦) .

« الجواب : ان الله قد بين ذلك بقوله تعالى : « وعلّم آدم الاسماء كلها » يعني الاسماء الالهية ، التي توجهت على ايجاد حقائق الاكوان ؛ ومن جملتها الاسماء الالهية التي توجهت على ايجاد الملائكة ، والملائكة لا تعرفها . ثم اقام المسمين بهذه الاسماء ، وهي التجليات الالهية التي هي للاسماء كالمواد الصورية للارواح ، فقال للملائكة : « انبؤني بأسماء هؤلاء » ، يعني الصور التي تجلّى فيها الحقّ « ان كنتم صادقين » في قولكم « نسبح بحمدك » . وهل سبحتموني بهذه الاسماء التي تقتضيها هذه التجليات ، التي اتجلاها لعبادي . وان كنتم صادقين في قولكم : « ونقدس لك » ذواتنا عن الجهل بك ، فهل قدستم ذواتكم لنا من جهلكم بهذه التجليات ، وما لها من الاسماء التي ينبغي ان تسبحونه بها ؟ فقالت الملائكة : « لا علم لنا الا ما علمتنا » . فمن علمهم بالله انهم ما اضافوا التعليم إلا اليه تعالى : « انك انت العليم » بما لا يعلم « الحكيم » بترتيب الاشياء مراتبها . فأعطيت هذه « الخليفة » ما لا تعطنا ، مما غاب عنا .

فلو لا ان رتبة نشأته (= آدم) تعطي ذلك ، ما اعطت الحكمة ان يكون له هذا العالم الذي خصصه به دوننا (= الملائكة) ، وهو بشر . فقال (تعالى) لآدم : « انبئهم باسماء هؤلاء » الذي عرضناهم عليهم (= الملائكة) . فانبأ آدم الملائكة بأسماء تلك التجليات ، وكانت على عدد ما في نشأة آدم من الحقائق الالهية ، التي تقتضيها اليدان الالهية ، مما ليس من ذلك في غيره من الملائكة شيء . فكان هؤلائك المسمون ، المعروضة على الملائكة ، تجليات الاهية في صورة ما في آدم من الحقائق . فاولئك هم عالم آدم كلهم ؛ فلما علمهم آدم عليه السلام ! قال لهم (= للملائكة) الله : « ألم اقل لكم اني اعلم غيب السموات » وهو ما علا من علم الغيوب ، « والارض » وهو ما في الطبيعة من الاسرار ، « واعلم ما تبدون » اي ما هو من الامور ظاهر ، « وما تكتمون » الى ما تحققونه على انه باطن مستور ؛ فأعلمتكم انه أمر نسبي ، بل هو ظاهر لمن يعلمه . ثم قال (تعالى) لهم ، بعد التعليم : « اسجدوا لآدم » سجود المتعلمين للمعلم ، من اجل ما علمهم . فـ « لآدم » هنا ، لام العلة والسبب اي من اجل آدم . فالسجود لله من أجل آدم سجود شكر لما علمهم الله من العالم به وبما خلقه في آدم عليه السلام . فعلموا ما لم يكونوا يعلمون . فنال التقدمة عليهم بكونه علّمهم ، فهو استاذهم في هذه المسألة .

(السؤال السادس والاربعون) : وكم عدد الاخلاق التي منحه عطاءا (٨٦) ؟

وبعده، فما ظهرت هذه الحقيقة في أحد من البشر الا في محمد، صلى الله عليه وسلم ! فقال عن نفسه: « انه اوتي جوامع الكلم » وهو قوله (تعالى) في حق آدم عليه السلام : « الاسماء كلها » . وكلها بمنزلة « الجوامع » ، و« الكلم » بمنزلة « الاسماء » . ونال التقدمة بها وبالصورة التي خلقه الله عليها .

قال، عليه السلام : « ان الله خلق آدم على صورته » بالنشأة من اجل اليدين ؛ وجعله بالخلافة على صورته ، وهي المنزلة . فاعطته الصورتان التقدم حيث لم يكن ذلك لغيره من المخلوقات . فليس فوق هذه المنزلة منزلة لمخلوق . فلا بد ان يكون له التقدمة على من سواه . وكذلك الامر الذي أعطاه هذا يتقدم على جميع الامور كلها . »

(فتوحات : ٢ : ١ ٧-٧٢)

٨٦) « الجواب : ثلاث مائة . وفي ذريته لكل خلق انسان » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦ ا) .

« الجواب : ثلاثمائة خلق . وهي التي ذكر النبي ، صلى الله عليه وسلم : « ان لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة » . ولهذا قال في الثلاثمائة : « اضم على قلب آدم ، عليه السلام ! » . يعني هذه الاخلاق التي منح الله آدم .

فمن كملت نشأته من بنيه ، قبل هذه الثلاثمائة من الخلق . ومن لم يكمل كمال آدم ، فله منها على قدر ما اعطى من الكمال . فمنهم الكامل والاكمل . وهذه الاخلاق خارجة عن الاكتساب ، لا تكتسب بعمل ، بل يعطيها الله اختصاصاً . ولا يصح التخلق بها ، لانه لا اثر لها في الكون . وانما هي اعدادات بأنفسها لتجليات إلهية على عددها ؛ لا يكون شيء من تلك التجليات الا لمن له هذه الاخلاق.

فثمة من اخلاق لا تعلق لها، إن كان عليها واتصف بها، إلا بالله خاصة؛ ليس بينها وبين المخلوقين نسب اصلا . فقول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « من تخلق بواحد منها » اراد من اتصف بشيء منها ، اي من قامت به .

فان الاخلاق على أقسام ثلاثة: منها اخلاق لا يمكن التخلق بها الا مع الكون، كالرحيم. واخلاق يتخلق بها مع الكون ومع الله ، كالغفور فانه يقتضي الستر لما يتعلق بالله من كونه

ب منحها V .

ج V .

(السؤال السابع والاربعون) : وكم خزائن الاخلاق[٨٧] ؟

غيورًا ، ويتعلق (الغفور أيضًا) بأكون . واخلاق لا يتخلق بها الا مع الله خاصة ، وهي هذه الثلاثماية .

ولما من الجنات جنة مخصوصة ، لا ينالها الا أهل هذه الاخلاق . وتجلياتها لا تكون لغيرها من الجنات . ولكن هذه الاخلاق هي لهم كالخلوق الذي يتطيب به الانسان . فانه (= الخلوق) وجود الريح من الطيب ، لا تعمّل فيه للتطيب به ؛ فانه يقتضي تلك الريح لذاته . والتخلّق تعمّل في تحصيل الخلق . وهذا ليس كذلك . فالثناء على الطيب ، لا على من قام به . فكذلك هذا الخلق ، اذا روئ (الاصل : رئ) على عبد قد اتصف به لم يقع فيه ثناء عليه اصلًا . وانما يقع الثناء على الخلق خاصة . فكل خلق تجده بهذه المثابة فهو من هذه الاخلاق الثلاثماية . فان الكريم خلق من أخلاق الله . ولكن اذا تخلّق به العبد اثنى عليه بأنه كريم . وكذلك ارحمة ، يقال فيه : رحيم.

وهذه الاخلاق لا ينطلق على من اتصف بها اسم فاعل جملة واحدة ، لكن ينطلق عليه اسم موصوف بها . وسبب ذلك ، أنّه لا تتعلق لها بالكون الا بحكم الاشتراك كالغفور ، ولا بحكم الاختصاص كالشديد العقاب . ويعطيها الاسم الوهاب من عين المنة ، لا غير .»

(فتوحات : ٣ : ٧٢)

٨٧) «الجواب : على عدد احوال ما تقتضيه الموجودات . وقد ذكرنا صورة ذلك في كتاب « الاخلاق » . وهو كتاب شريف ما سُبِقْتُ اليه .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦) .

« الجواب : على عدد اصناف الموجودات ، واعيان اشخاصها . فهي غير متناهية من حيث ما هي خزائن . وسميت (الاصل : وما سميت) خزائن لكون الاخلاق مخزونة فيها اختزانًا وجوديًا . وانما جعلت خزائن لما تقتضيه في حكم من اتصف بها من الصفات التي لا نهاية لوجودها .

وهي خزائن في خزائن . واصلها ، الذي ترجع اليه ، الجامع للكل : ثلاث خزائن . خزانة تحوي على ما تقتضيه الذوات ، من حيث ما هي ذوات . وخزانة تحوي على ما تقتضيه النسب الموجبة للاسماء ، من حيث ما هي نسب . وخزانة تحوي على ما تقتضيه الافعال من حيث انها افعال ، لا من حيث المفعولات ولا انفعالات ولا الفاعلية . وكل خزانة من هذه الخزائن الثلاث تنفتح الى خزائن . وتلك الخزائن الى خزائن ، هكذا الى غير نهاية . فهي تدخل تحت الكمّ بوجه ، ولا تدخل تحت الكمّ بوجه . فما حصل منها في الوجوه حصره الكمّ .»

(فتوحات : ٣ : ٧٢)

(السؤال الثامن والاربعون) : وقوله عليه السلام : « إن لله مائة وسبعة عشر خلقاً » ، ما تلك الاخلاق[٨٨] ؟

٨٨) « الجواب : لا يمكن تعيينها لنا ، ولا لأحد املاً . » الجواب المستقيم ورقة ٣٤٦) .

« الجواب : ان هذه الاخلاق مخصوصة بالانبياء عليهم السلام ليس لمن دونهم فيها ذوق . ولكن لمن دونهم تعريفاتها . فتكون عن تلك التعريفات اذواق ومشارب لا يحصيها إلا الله ان علماً وعدداً .

فمن هذه الاخلاق ، خلق الجمع الدال على التفريق . والجمع الذي يتضمن التفريق . والفرق الذي يتضمن الجمع . ويظهر هذا الخلق من حضرة العزة والابانة والحكمة والكرم.

ومن هذه الاخلاق ، خلق النور المستور . وهو من اعز المعارف . اذ لا يمكن في النور ان يكون مستوراً . فانه لذاته يخرق الحجب ، ويهتك الاستار . فما هذا الستر الذي يحجبه الا ان ذلك الحجاب هو انت . كما قال العارف :

« فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه »

ومن هذه الاخلاق خلق اليه . وهو مخصوص بالقلوب واصحابها . وهو على مراتب .

ومن هذه الأخلاق ، خلق اعدام الاسباب في عين وجودها . وهو على مراتب . وقفت منها في الاندلس على مائة مرتبة ؛ لا توجد في الكمال الا في روحانية ذلك الاقليم . فانه لكل جزء من الارض روحانية علوية تنظر اليه . ولتلك الروحانية حقيقة الاهية تمدها . وتلك الحقيقة هي المسماة خلقاً الاهياً .

واما بقية الاخلاق ، فلها مراتب دون هذه التي ذكرناها في الاحاطة والعموم .

ولكل خلق من هذه الاخلاق ، درجة في الجنة لا ينالها الا من له هذا الخلق . وهذه الاربع ، التي ذكرناها ، منها للرسل ومنها للانبياء ومنها للاولياء ومنها للمؤمنين . وكل طبقة من هؤلاء الاربع على منازل بعددهم . فمنها ما يشاركهم فيها الملأ الأعلى . ومنها ما تختص به تلك الطبقة وذلك ان كل امر يطلب الحق ، ففيه يقع الاشتراك . وكل امر يطلب الخلق ، فهو يختص بذلك النوع من الخلق (و) يقتصر عليه .

ومن الباقي اربعة عشر خلقاً لا يعلمها الا الله . والباقي من الاخلاق تعينها اسماء الاحصاء . وهي اسماء لا يعرفها الا ولي . او من سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! من الصحابة . واما من طريق النقل ، فلا يحصل بها علم .

F ـ ـ .

(السؤال التاسع والاربعون) : وكم ذ للرسل منها[٨٩] ؟

واما الثلاثة عشر فيختص بعلمها سبحانه ! وما يفي فيعلمه اهل الجنة . وهم في العلم بها على طبقات . واعني بأهل الجنة ، الذين هم اهلها . فانه لله سبحانه ، اهل هم اهله لا يصلحون لغيره . كما ورد في الخبر : « إنّ اهل القرآن هم اهل الله وخاصته » . وللجنة اهل هم اهلها لا يصلحون الا لها ، لا يصلحون لله . وان جهنم حضرة الزيارة ولكن هم فيها بالعرض . وللنار اهل هم اهلها ، لا يصلحون لله ولا للجنة . ولكل اهل ، فيما هم فيه ، نعيم بما هم فيه . ولكن بعد نفوذ امر سلطان الحكم العدل ، القاضي الى « أجل مسمّى » . وكل طائفة لها شرب وذوق في هذه الاخلاق المذكورة في هذا الباب .

فانقسمت هذه الاخلاق على هؤلاء الطبقات الثلاث . كل خلق منها يدعوهم الى ما يقتضيه امره وشأنه : من نار أو جنان او حضور عنده ، حيث لا اين ولا كيف . وللمعاني المجرّدة منها اخلاق ؛ ولعالم الحس منها اخلاق ؛ ولعالم الخيال منها اخلاق . فجنة محسوسة لمعنى دون حس ؛ وجنة معنوية لحس دون معنى ؛ وحضور مع الحق معنوي حس دون معنى ؛ وحضور مع الحق محسوس لمعنى ؛ ونار محسوسة لمعنى دون حس؛ ونار معنوية لحس دون معنى . ونتفاضل مشارب هؤلاء الطبقات فيها . فمنهم التام والاتم ، والكامل والأكمل .

« فسبحان من بيده ملكوت كل شيء واليه يرجعون » في كل حضرة . فانه كلما اثبتناه من اعيان أكوان في نار وجنان – فليس الا الحق . اذ هي مظاهره . فالنعيم به لا يصح اصلاً في غير مظهر ، فانه فناء ليس فيه لذة . فاذا اتجه في المظاهر ، وقعت اللذات والآلام ، وسرت في العالم . ويرحم الله من قال :

فهل سمعتم بصب سليم طرف سقيم
منعم بعذاب معذب بنعيم ؟

فيه النعيم ، وبه العذاب . فلا يوجد النعيم ابدًا الا في مركب وكذلك العذاب . وأما النعيم والعذاب البسيط ، فلا حكم له في الوجود فانه معقول غير موجود . فأهل المظاهر هم اهل النعيم والعذاب . واهل احدية الذات لا نعيم عندهم ولا عذاب . قال ابو زيد : ضحكت زمانًا وبكيت زمانًا ؛ وانا اليوم لا اضحك ولا ابكي ! وقيل له : كيف أصبحت ؟ قال : لا صباح لي ولا مساء . انما المساء والصباح لمن تقيد بالصفة ولا صفة لي » .

(فتوحات : ٣ : ٧٢-٧٣)

٨٩) « الجواب : على عدد صحفهم وكتبهم ، لا يزيد ولا ينقص . » (الجواب المستقيم ، ورقة ١/٣٤٦) .

ذ وحافظ ٧ .

« الجواب : كلها الا اثنين . وهم فيها على قدر ما نزل في كتبهم وصحفهم الا محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، فان جمعها كلها بل جمعت له عنايةً ازلية . قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » فيما لهم به من هذه الاخلاق .

فاعلم ان الله تعالى لما خلق الخلق ، خلقهم اصنافًا ؛ وجعل في كل صنف خيارًا ؛ واختار من الخيار خواصّ ، وهم المؤمنون . واختار من المؤمنين خواص وهم الاولياء . واختار من هؤلاء الخواص خلاصة ، وهم الانبياء . واختار من الخلاصة نقاوة وهم انبياء الشرائع المفصولة عليهم . واختار من النقاوة شرذمة قليلة ، هم صفاء النقاوة المروقة وهم الرسل اجمعهم . واصفى واحدًا من خلقه هو منهم وليس منهم . هو المهيمن على جميع الخلائق . حمله عمدًا . أقام عليه قبة الوجود . حمله اعلى المظاهر وأسناها . صح له القام نبيئًا ونعربيًا . فعلمه قبل وجود طينة البشر . وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا يكاثر ولا يقاوم . هو السيد ومن سواه سوقة . قال عن نفسه : « انا سيد الناس ولا فخر » . بالراء والزاي ، روايتان . اي اقولها غير متبجح بباطل . اي اقولها ولا اقصد الافتخار على من بقي من العالم . فاني وان كنت اعلى المظاهر الانسانية فانا اشد الخلق تحققًا بعيني .

فليس الرجل من تحقق بربه ، وانما الرجل من تحقق بعينه . لما علم ان الله تعالى اوجده له تعالى لا لنفسه . وما فاز بهذه الدرجة ذوقًا الا محمد ، صلى الله عليه وسلم ! وكشفًا الا الرسل وراسخو علماء هذه الامة المحمدية . ومن سواهم فلا قدم لهم في هذا الامر .

وما سوى من ذكرنا ، ما علم ان الله اوجده له تعالى . بل يقولون : انما اوجد العالم للعالم . « فرفع بعضهم فوق بعض درجات » ، « ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا » ، « وهو غني عن العالمين » . — هذا مذهب جماعة من العلماء بالله . وقالت طائفة من العارفين : ان الله اوجد الانس له ، تعالى ! والجن . واوجد ما عدا هذين النوعين للانسان . وقد روى في ذلك خبر الاهي ، عن موسى ، صلى الله عليه وسلم ، ان الله انزل في التوراة : « يا ابن آدم ، خلقت الاشياء من اجلك وخلقتك من اجلي . فلا تشتك ما خلقت من اجلي فيما خلقت من اجلك » .

وقال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » . وتقتضي المعرفة بالله ان الله خالق العالم وتعرّف اليهم لكمال مرتبة الوجود ومرتبة العلم بالله لا لنفسه ، سبحانه ! وهذه الوجوه كلها لها نسب صحيحة . ولكن بعضها احق من بعض . واعلاها ما ذهبنا اليه . ثم يلي ذلك خلقه لكمال الوجود وكمال العلم بالله . وما بقي فنازل عن هاتين المرتبتين .

واعلم ان كل خلق ينسب الى جناب الحضرة الالهية . فلا بد من مظهر يظهر فيه ذلك الخلق . فاما ان يعود من المظهر التخلق به على جناب الحق ، او يكون متعلقة بمظهرًا آخر يقتضيه في عين ممكن ما من الممكنات ، لا يكون الا هكذا . واما الحق ، من حيث هو لنفسه ، فلا خلق .

(السؤال الخمسون) : وكم لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ز [٥٠] ؟

(السؤال الحادي والخمسون) : وأين خزائن المنّ[٥١] ؟

أن عرف النسب فقد عرف الله . ومن جهل النسب فقد جهل الله . ومن عرف ان النسب تطلبها المكنات ، فقد عرف العالم . ومن عرف ارتفاع النسب فقد عرف ذات الحق ، من طريق السلب ، فلا يقبل النسب ولا تقبله . واذا لم يقبل النسب لم يقبل العالم . واذا قبل النسب كان عين العالم .

قال تعالى : « واعبد ربك » – نسبة خاصة – « حتى يأتيك اليقين » فتمام من عبده ، ومن العابد والمعبود .

قال تعالى : « ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها انّ ربي على صراط مستقيم » – « وان هذا صراط مستقيم فاتبعوه » – « اهدنا الصراط المستقيم » – « اعطى كل شيء خلقه » – « صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور » – « وانك لتهدي الى صراط مستقيم » – « واليه يرجع الامر كله فاعبده » لا تعبد انت ؛ فان عبدته من حيث عرفته فنفسك عبدت . وان عبدته من حيث لم تعرفه فنسبته الى المرتبة الالهية عبدت . وان عبدته عيناً من غير مظهر ولا ظاعر ولا ظهور ، بل هو هو لا انت ؛ وانت انت لا هو ، فهو قوله : « فاعبده » – فقد عبدته ! وتلك المعرفة التي ما فوقها معرفة . فانه معرفة لا يشهد معروفها . – فسبحان من علا في نزوله ، ونزل في علوّه . لم يكن واحداً منها ولم يكن الاها . « لا اله الا هو العزيز الحكيم » !

(فتوحات : ٢ : ٧٣–٧٤)

يلاحظ ان ابن عربي هنا في الفتوحات قد جمع في اجابة واحدة عن السؤالين رقمي ٤٩ و ٥٠ .

٩٠) « الجواب : كلها الّا انه ، صلى الله عليه وسلم ، يزيد على جميع الرسل بكلام في هذه الاخلاق بخلقين خاصة ، لم ينلها (في الاصل : ينلها) احد غيره . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٦ أ) .

٩١) « الجواب : في حضرة التقرير . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٦ أ) .

« الجواب : في الاختيار المتوهم ، المنسوب اليه واليك . فانت مجبور في اختيارك . فاين الاختيار ؟ وهو ليس بمجبور . وامره واحد . فأين الاختيار ؟ ولو شاء الله لما شاء .

ز محمد V .

ز + منها V .

(السؤال الثاني والخمسون) : وأين خزائن سعي النفوس[١٢] ؟

« وان يشأ يذهبكم » . وليس بمحل للحوادث . بل الاعيان محل الحوادث . وهو عين الحوادث عليها . فانما محال ظهوره .

« ما يأتيهم من ذكر من الرحمن من ربهم محدث » . والذكر كلامه . وهو الذي حدث عندهم . وكلامه علمه . وعلمه ذاته . فهو الذي حدث عندهم . فهو خزائن المنن . والمنن ظهور ما حدث عندهم فيهم . وهو لا اين له ، فلا اينية لخزائن المنن .

ولما كانت المنن متعددة ، طلب عين كل نسبة منه خزانة . فلهذا تعددت الخزائن بتعدد المنن وان كانت واحدة . — « بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين » انكم مؤمنون . فهذه منتان : منة الهدى ومنة الايمان . وجميع نعمه الظاهرة والباطنة منه . — واذا كان هو عين المنة ، فانت الخزانة . فالعالم خزائن المنن الالهية : ففيما اخترنت منه ، سبحانه ! فما هو لنا بأين . ونحن له « أين » . فان لا « أينية » له هو نحن : فأعياننا « أين » لظهوره .

فحقيقة المكان لا تقبل المكان . ودع عنك من يقول : المتمكن في المكان مكان لمكانه . وفرض بين التمكن والمكان حركتين متضادتين تعطي حقيقة المكانية لكل واحد منها . وهذا من قائله توهم من اجل ما ذهب اليه . والحقيقة هي ما قررنا : من ان المكان لا يقبل المكان . فلا « أين » للأين لمن هو « أين » له . — وهذا كله في المظاهر الطبيعية . واما في المعاني المجردة عن المواد ، فهي المظاهر القدسية للاسماء التي لا تقبل نسب التشبيه . فالعلم بها أن لا علم ! كما روي عن الصديق انه قال : « العجز عن درك الادراك ادراك ! » .

فانقلب التنزيه عن « الاين » لمن يقبل التشبيه . فلا تشبيه في العالم ولا تنزيه . فان الشيء لا يتنزه عن نفسه ولا يشبه بنفسه . فقد تبينت الرتب . وعلم ما معنى النسب . والحمد لله وحده ان علم عبده ! » (فتوحات : ٣ : ٧٤-٧٥)

٩٢) « الجواب : سدرة المنتهى : (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦١) .

« الجواب : ذوات الاعمال . فان اراد تجسد هذا المسمى ، فخزانته الخيال . وان اراد ان يختزن ، ففي سدرة المنتهى . فان اراد ما لها من الخزائن الالهية ، فخزانة الاسم « الحفيظ العليم » .

واعلم ان خزائن هذا المسمى خمس خزائن ، لا سادسة لها . وعباد الله رجلان : عامل ومعمول به . فالمعمول به ليس هو مقصودنا في هذا الباب ، من هذا الفصل . وانما مقصودنا سعي الاعمال ، من حيث نسبتها الى العاملين .

[١٢] النفس V .

والعاملون ثلاثة: عامل هو حقّ ؛ وعامل بحق ؛ وعامل هو خلق . وكلٌّ له سعي في العمل بحسب ما اضيف اليه . فان الله قد نسب « المروءة » اليه ، وهي ضرب من السعي سريع . وقد قال : « ان الله لا يملّ حتى تملّوا » ، ثبت هذا في الحديث الصحيح .

فاما سعي العمل الذي هو حق ، فالعمل يطلب الاجر بنفسه ليجود به على عامله . والعامل هنا ما يعطي حقيقته قبول الأجر ، — ولا بد من الاجر . فيكون اذن الاجر الثناء لا غير . فانه يقبل الثناء هذا العامل الذي هو حق . ولا يقبل القصور ولا الجور ولا الولدان ولا التجليات . فان كان العمل مما يتضمن الحسن والقبح او لاحسن ولاقبح — فلا يضاف اليه مبرّى عن الحكم بنفي او اثبات . وصاحبه اكمل الناس نعيماً في الجنة ولذة وارفعهم درجة . وما له من الجنات ، من حيث هذا العمل ، سوى جنة عدن . والعمل يطلب نصيبه في جميع الجنان ، من حيث ما هو عمل لا غير . فيعود به على صاحبه . بل يكون له مركباً الى كل درجة في جميع الجنات .

وهو المراد بقوله تعالى عنه : « نتبوأ من الجنة حيث نشاء » الى هنا . وقوله : « فنعم اجر العاملين » ليس هم هؤلاء ، بل العاملون بحق وبخلق الا ان يريد بقوله : « نعم اجر العاملين » الثناء فهو لهم . فان لفظة « نعم » و« بئس » للمدح والذم . والعامل هنا حق . والثناء له حق . و« نعم » كلمة محمدة ومدح . فيكون بهذا التأويل تمام الآية له . والتبوّء في الجنات للعمل لا له . فالمحل الذي ظهر فيه العمل ، وهو انت ، هو الذي يتبوّأ من الجنة ، بحسب عمله الظاهر فيه ، ما شاء . اذ الصورة الطبيعية منه تطلب النعيم المحسوس والمتخيل . فلهذا ابيحت الجنات له بحكم مشيئته بشفاعة العمل الحق .

فخزائن هذا السعي كلها أنوار : مباحها ومندوبها وواجبها ومحظورها ومكروهها في حكم الظاهر المقرر عند علماء الرسوم ممن ليس له كشف منهم . وهو عند علماء الرسوم ، الذين لهم الكشف الاتم في معرفة الشرائع ، اعني هذا الذي ظهر فيه هذا العمل على هذه الصفة ، ما تصرّف الا فيما حسّنه الشرع وقبله . « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

واما سعي من كان حمله بحق فيقرب من هذا . انه لما شاهد ذاته عاملة ، وهو من اهل « اياك نعبد واياك نستعين » ومن اهل « لا حول ولا قوة الا بالله » ، تنص من ذلك الاول . فكان صاحب كشف في عمله لاخذ الحق بناصيته في جميع ما يتصرف فيه .

فامتلأت خزائنه الخمسة عندنا ، والستة عند ابي حنيفة ، نوراً خالصاً ونوراً غير خالص ونوراً مزيلاً لظلمة كانت قبله . فكان مختلج الأحوال . فلولا عناية هذا الحضور والكشف في حال السعي لما تم له هذا السعد الذي حصل له من ازالة ظلمته .

فهذان الصنفان من اصحاب الاعمال في النور . فلهم اجرهم ونورهم .

واما من كان سعي عامله خلق ، فترفع له خزائن الواجبات ، أعني الفرائض في العمل

(السؤال الثالث والخمسون) : ومن أين يعطى الانبياء ش (٩٣) ؟

والترك، والمندوبات في العمل والترك، ممتلئة نورًا مشوبًا بكون دون انوار من ذكرناهم. وترفع لهم خزائن المباحات فارغة في العمل والترك، الا من ترك المباح او عمله لكونه مباحًا. ففيها نور يليق بهذا النوع. فكأنه نور من وراء حجاب. مثل ضوء الشمس خلف السحاب الرقيق. فان نظر الى تضمن ذلك المباح تركًا محظور او مكروه، ولم يخطر له ترك واجب او مندوب، فان نوره يكون أتم قليلًا وأضوأ من النور الاول المعرّى عن هذا الخاطر. فان خطر له ذلك المباح يتضمن ترك مندوب أو واجب، من واجب يوجبه على نفسه: كمن نذر صيام يوم لا بعينه، وله ان شاء ان يصومه في هذا اليوم، وهو صوم واجب ولكن لا في هذا اليوم ولا بد، وان صام في هذا اليوم المباح له ترك الصوم فيه، فقد أدّى واجبًا – فان نوره في خزانته هذه بين النورين المتقدمين. وترفع له خزائن المحظورات في العمل والترك والمكروهات في العمل والترك.

اما خزائن المحظورات فظلمة محضة. واما خزائن المكروهات فدفقة. وخزائن المكروه كالاسفار والشقق. وما ثَمَّ عامل في المؤمنين او الموحدين الا هؤلاء خاصة. واما من سوى المؤمن او الموحد فلا كلام لنا معه في هذا الفصل من حيث قصد السائل.

واما من حيث سعي الاعمال، فان لكل عامل مدخلًا في هذا الفصل بحسب سعيه من مبطل ومشرك وكافر وجاحد ومنافق. وما ثَمَّ شيء سوى هؤلاء الخمسة. وفي الكلام على بناهجهم تفصيل يطول. وكل يجري في طلقه الى اجل مسمًّى. وما منهم الا من يقول: انا من الاشياء، فلا بد لي من الرحمة. فان قائلها ليس من صفته التقييد، فلو تقيّد لخرج عنه ما لا يمكن ان يكون. فمن المحال خروج شيء عنه. فمن المحال تقييده.

فمنّا من تفيض عليه الرحمة من خزائن الوجوب. ومنا من تفيض عليه الرحمة من خزائن المنن، التي ذكرناها. فالكل طامع. والمطموع فيه واسع. « ان ربك واسع المغفرة ». أترى هذه السعة الربانية تضيق عن شيء هي لم تضق عن الممكنات اذ كانت في الشر المحض، فكيف تضيق عن الممكنات اذ هي في الشر المشوب؟ « هو اعلم بمن اتقى » فيخصه بالرحمة الموجبة بالصفة الموجبة « فسأكتبها للذين يتقون » ممن لم يتق، فيخصه برحمته المطلقة وهي رحمة الامتنان ولا تتقيد بحصر. فهذا جواب خزائن السعي الاعمال، على الايجاز والبيان ». (فتوحات : ٣ : ٧٥-٧٦)

٩٣) « الجواب : تعطى من عين المنة » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٤٦ أ).

ش الأولياء V . + ومن اين يعطى الاولياء V .

(السؤال الرابع والخمسون) : وأين خزائن المحدّثين من الاولياء[٩٤] ؟

« الجواب : الانبياء على نوعين : انبياء تشريع وانبياء لا تشريع لهم . وانبياء التشريع على قسمين : انبياء تشريع في خاصتهم ، كقوله : « الا ما حرّم اسرائيل على نفسه » ؛ وانبياء تشريع في غيرهم وهم الرسل ، عليهم السلام .

اما الانبياء الذين هم الرسل فـ(يعطون) من حضرة الملك ، الذي هو ملك الملك . واما الانبياء غير المرسلين فـ(يعطون) من حضرة الاختصاص . واما الانبياء الذين لا يوحي اليهم الروح المخصوص بذينك الصنفين فـ(يعطون) من حضرة الكرم . والكل (يعطي) من عين المنة والرحمة وهو « الجامع » .

فاما الدائرة العظمى العامة ، التي هي النبوة المطلقة ، فمن اعطيها من حيث اطلاقها فلا يعرف احد ما لديه وما اتحفه به ربه . وهو ايضاً لا يعرف قدر ذلك ، لانه لا يقابله ضد فيها فيتميز عنه . واما من اعطي منها ، من باب الرحمة به وتولي الحق ، بضرب من العطف عليه ، تعليمه : فتعرف اليه بعوارفه ثم عرفه من غيبه ما شاء ان يعرفه . كالخضر الذي قال فيه : « آتيناه رحمة من عندنا » اي رحمناه فاعطيناه هذا العلم الذي ظهر به . وان اراد تعالى انه اعطاه رحمة من عنده ، جعلها فيه ليرحم بها نفسه وعباده ، فيكون في حق الغلام رحمة ان حال بينه وبين ما كان يكتسبه ، لو عاش ، من الآثام اذ قد كان طبع كافراً . واما رحمته بالملك الناصب حتى لا يتحمل وزر غصبه تلك السفينة من هؤلاء المساكين .

فالرحمة انما تنظر من جانب الرحيم بها لا من جانب صاحب الغرض ، فانه جاهل بما ينفعه . كالطبيب يقطع رجل صاحب الاكلة رحمة به ليفديه نفسه . فالرحمة عامة من الرحيم الراحم .

ولم أرَ أحداً اعطى النبوة المطلقة ، التي لا تشريع لها ، الّا ان كان وما عرفته ؛ فهذا لا يعد . فاني رأيت من اولياء الله تعالى ما لا أحصيهم عدداً ، نفعنا الله بهم !

واما من اعطى النبوة المقيدة بالشرائع ، ففي الزمان منهم اليوم الياس « وان الياس لمن المرسلين » وادريس وعيسى . واختلف في الخضر بين النبوة والولاية . فقيل : هو نبيّ ، وقيل : وليّ » . (فتوحات ، ٣ : ٧٦)

٩٤) « الجواب : في حضرة الغيب . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦ ب - ٢٤٦ ب) .

« الجواب : في حضرة الحق من الحضرات الالهية ، وفي المظاهر الالهية مما وقعت عليه العين او بعض الحواس من صامت معتاد وناطق :

تحدثني في ناطق ثم صامت ونمز عيون ثم كسر حواجب

[٩٤] الانبياء ٧ .

. قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في هذا الفصل : « اذا قال الامام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : ربنا ولك الحمد ! فان الله قال على لسان عبده : سمع الله لمن حمده ». فهذا من حديث الله مع خلقه .

وقال تعالى : « فأجره حتى يسمع كلام الله » . فكلم الله الاعرابي لسان رسوله ، صلى الله عليه وسلم . فان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هو الذي تلا عليه القرآن . والقرآن كلام الله — قال تعالى : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » لانه حدث عندهم ، وان كان قديماً في نفس الامر من حيث انه كلام الله .

وقال صلى الله عليه وسلم : في عمر ، « انه من المحدثين » « ان يكن في هذه الامة منهم احد » واريد حديثه تعالى مع اولياءه لا مع الانبياء والرسل . فان الاذواق تختلف باختلاف المراتب . فنحن لا نتكلم الا فيما لو ادعيناه لم ينكر علينا ، لان باب الولاية مفتوح ولهذا سأل (الحكيم الترمذي) عن خزائن المحدثين من الاولياء .

فان كل المحدثين من فهم عن الله ما حدثه به في كل شيء . وهم اهل السماع المطلق من الحق . فان اجابوه به فهو حديث . وان اجابوه بهم فهي محادثة . وان سمعوا حديثه به ، فليس بحديث في حقهم ؛ وانما هو خطاب او كلام . واهل الخزائن يسمون المحادثة ولا يسمون المناجاة . فان الحق لا يحدث عنده شيء . فهو ، سبحانه ! يحدث من شاء من عباده ولا يحدثه منهم احد . لكن يناجونه ويسارونه كالمجتهدين هم اهل المسارة .

فالعالم خزائن المحدثين من الاولياء اذا سمعوا بهم . فالمحدثون انزل الدرجات في في مقامات الاولياء . وهم عند العامة في الرتبة العليا ، لان علومهم ليست عن ذوق . وانما هي علوم نقل او علوم فكر ، لا غير .

فاما حديث الله في الصوامت ، فهو عند العامة ، من علماء الرسوم ، حديث حال . اي يفهم من حاله كذا وكذا ، حتى انه لو نطق لنطق بما فهمه هذا الفاهم منه .

قال القوم في مثل هذا : « قالت الارض للوتيد : لم تشقني ؟ قال الوتد لها : سلي من يدقني ! » فهذا عندهم حديث حال . وعليه خرجوا قوله تعالى : « وان من شيء الا يسبح بحمده » ؛ وقوله : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها » اباية حال .

واما عند اهل الكشف ، فيسمعون نطق كل شيء من جماد ونبات وحيوان . يسمعه المقيد بأذنه في عالم الحس لا في عالم الخيال ، كما يسمع نطق المتكلم من الناس والصوت من اصحاب الاصوات . فما عندنا في الوجود صامت اصلاً . بل الكل ناطق بالثناء على الله . كما انه ليس عندنا في الوجود ناطق اصلاً ، من حيث عينه . بل كل عين ، سوى الله ، صامتة لا نطق لها . الا انها لما كانت مظاهر ، كان النطق للظاهر . — قالت الجلود :

(السؤال الخامس والخمسون) : وما الحديث[٩٥] ؟

« انطقنا الله الذي انطق كل شيء » . فالكلام في المظاهر هو الاصل ، والصمت فيها عرض يعرض في حق المحجوب . والصمت في الاعيان هو الاصل ، والكلام المسموع منها عرض يعرض في حق المحجوب . فلاصحاب الحرف والصوت عذر عند هؤلاء . ولمنكر الصوت والحرف عذر ايضاً عندهم » . (فتوحات ، ٢ : ٧٦-٧٧)

٩٥) « الجواب : بحسب الوقت . وان كان سؤاله عن ماهية الحديث ، في كينية الحصول : فهو تجل من سماء موسى ، عليه السلام . يجد مواقع الخطاب في سمع قلبه من قوله (تعالى) : « او القي السمع وهو شهيد » . وذلك خلف الحجاب الاقدس » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦ب) .

« الجواب : ما يتلقاه السامع اذا سمعه به لا بربه . فذلك هو الحديث لا غير . فان سمعه بربه فليس ذلك بحديث . ومعنى قوله : سمعه بربه ، قول الله تعالى « كنت سمعه الذي يسمع به » . فاعلم ان وصفه بانه سميع هو عينه لا امر زائد .

واعلم ان تحقيق هذا ، انه لكل اسم الاهي نسبة كلام . والانسان محل لاختلاف الاحوال عليه عقلاً وحساً . وذلك ان الالوهية تعطي ذلك لذاتها ، فاتصفا بالنسبة الى العالم بهذه الصفة . قال تعالى : « يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن » . فكل حال في الكون فهو عين شأن الاهي . وقد تقرر في العلم الالهي ، انه تعالى لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين ، ولا في صورة واحدة لشخص مرتين . وكل تجل له كلام . فذلك الكلام ، لهذا الحال من هذا التجلي ، هو المعبر عنه بالحديث . فالحديث لا يزال أبداً . غير انه من الناس من يفهم انه حديث ومن ، الناس من لا يعرف ذلك . بل يقول : ظهر لي كذا وكذا . ولا يعرف ان ذلك من حديث الحق معه في نفسه . لانه حرم عين الفهم عن الله فيما يحسب انه خاطر .

والذين قسموا الخواطر الى اربعة ، فذلك التقسيم لا يقع في الحديث : فان الحديث حديث في كل قسم . وانما الاقسام وقعت في الذوات ، التي فهم منها ما اريد بالحديث . فيقال : خاطر شيطاني وهو حديث رباني وقول الاهي لما اراده الحق وقال له : « كن » فكان . فتلقاه الاسم « البعيد » كما يتلقاه من الحديث الالهي في الخاطر الملكي الاسم « القريب » ؛ كما يتلقاه من الحديث الالهي في الخاطر النفسي الاسم « المريد » ؛ كما يتلقاه من الحديث الالهي في الخاطر الرباني الاسم « الحفيظ » . فهذه الخواطر كلها من الحديث الالهي ، الذي لا يشعر به الا رجال الله .

فالعالم كله على طبقاته لا يزالون في الحديث . فمن رزق الفهم عنه تعالى وعرفه ، فذلك

(السؤال السادس والخمسون) : وما الوحي[٦٦] ؟

المحدث ؛ وهو من اهل الحديث . وعلم ان كل ما سمعه حديث بلا شك . وان اختلفت الفاظه : كالسحر والمناجاة والمناغاة والاشارات . فالكلام كله حادث قديم : حادث في السمع ، قديم في المسمّى . فافهم ! » (فتوحات ، ٣ : ٧٧-٧٨)

٩٦) « الجواب : مواقع الاشارات الالهية في القلب ، من غير ريب . هذا اصله . وليس فيه ، من حيث اصله ، تفصيل . وكل ما سمي وحيا ، من غير هذا الصنف ، فمن باب تسمية الشيء باسم (ذلك) الشيء ، اذا كان مجاورا له او كان منه بسبب » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦ ب) .

« الجواب : ما تقع به الاشارة ، القائمة مقام العبارة من غير عبارة . فان العبارة تجوز منها الى المعنى المقصود بها ، ولهذا سميت عبارة . بخلاف الاشارة ، التي هي الوحي : فانها ذات المشار اليه . والوحي هو المفهوم الاول ، والافهام الاول . ولا اعجل من ان يكون عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه . فان لم تحصل لك هذه النكتة ، فلست الا صاحب وحي . الا ترى ان الوحي هو السرعة . ولا سرعة اسرع مما ذكرناه .

فهذا الضرب من الكلام ليس وحيا . ولما كان هذه المثابة ، وانه تجل ذاتي — لهذا ورد في الخبر : «ان الله اذا تكلم بالوحي ، كأنه سلسلة على صفوان ، صفت الملائكة» . ولما تجلى الرب للجبل تدكدك الجبل ، وهو حجاب موسى . فانه كان ناظرا اليه طاعة لامر الله . فلاح له عند تدكدك الجبل ، الامر الذي جعل الجبل دكا « فخر موسى صعقا » . — « حتى اذا فزع عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال » القائل « ربكم ؟ » قالت الملائكة «الحق» قالت الحقيقة : «وهو العلي الكبير» . — هذه النسبة من حيث هويته .

فالوحي ما يسرع اثره من كلام الحق تعالى في نفس السامع . ولا يعرف هذا الا العارفون بالشؤون الالهية ، فافهم عين الوحي الالهي في العالم ، وهم لا يشعرون . فافهم !

وقد يكون الوحي اسراع الروح الالهي الامري بالايمان بما يقع به الاخبار . والمفطور عليه كل شيء مما لا كسب له فيه من الوحي ايضا ، كالمولود يلقى ثدي امه . ذلك من اثر الوحي الالهي اليه . كما قال (تعالى) : « ونحن اقرب اليه منكم ولكن تبصرون » — «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امرات ، بل احياء ولكن لا تشعرون » وقال تعالى : «وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » . فلولا ما فهمت من الله وحيه ، لما صدر منها ما صدر .

ولهذا لا يتصور المخالف اذا كان الكلام وحيا ، فان سلطانه اقوى من ان يقاوم . — «واوحينا الى ام موسى : ان ارضعيه . فاذا خفت عليه فألقيه في اليم » وكذا فعلت ولم

(السؤال السابع والخمسون) : وما الفرق بين النبيين والمحدثين[١٧] ؟

تخالف . مع ان الحالة تؤذن انها الفته في الهلاك . ولم تخالف ولا ترددت ولا حكمت عليها الشريعة بأن الفاعه في اليم في نابوت من اخطر الأشياء . فدل على ان الوحي اقوى سلطاناً في نفس الموحى اليه من طبعه ، الذي هو عين نفسه .

قال تعالى : « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » . وحبل الوريد من ذاته . — فيا ايها الولي ، اذا زعمت ان الله اوحى اليك ، فانظر في نفسك في التردد او المخالفة . فان وجدت لذلك اثرًا بتدبير او تفصيل او تفكر ، فلست صاحب وحي . فان حكم عليك وأمساك وحال بين فكرك وتدبيرك وأمضى حكمه فيك — فذلك هو الوحي . وانت عند ذلك صاحب وحي . واعلمت عند ذلك ان رفعتك وعلو منصبك ان تلحق بمن تقول انه دونك : من حيوان ونبات وجماد . فان كل ما سوى مجموع الانسان مقطور على العلم بالله ، الا مجموع الانسان والجان . فانه من حيث تفصيله مقطور على العلم بالله ، كسائر ما سواهما من المخلوقات من ملك ونبات حيوان وجماد .

فما من شيء ، فيه من شعر وجلد ولحم وعصب ودم وروح ونفس وظفر وناب ، الا وهو عالم بالله تعالى بالفطرة بالوحي ، الذي تجلى له فيه . وهو ، من حيث مجموعه وما يجمعه من الحكم ، جاهل بالله حتى ينظر ويفكر ويرجع الى نفسه فيعلم ان له صانعاً صنعه وخالقاً خلقه . فلو اسمعه الله نطق جلده او يده او لسانه او رجله — لسمعه ناطقاً بمعرفة ربه ، مسبحاً بجلاله ومقدساً . — « يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون » . — « وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ » .

فالآن من حيث تفصيله عالم بالله . ومن حيث جملته جاهل بالله حتى يتعلم ، اي يعلم بما في تفصيله : فهو العالم الجاهل . — « فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين » . فالانسان من حيث تفصيله صاحب وحي ؛ ومن حيث جملته لا يكون في كل وقت صاحب وحي » .

(فتوحات ٢ : ٧٨)

٩٧) « الجواب : تقرير الاحكام في الحديث ، او انشاؤها . الا ان ابا حامد الغزالي فرق بينها برؤية المحدث . وليس الامر كذلك . فقد رآه الأولياء في حال حديثه لهم ؛ فكل قال ما شاهد . ولكن حكم ابي حامد بان هذا هو الفرق خطأ . ومشهده صحيح . وهذا كله اذا كان الحديث من الملك والروح . وان كان الحديث من الحق ، فلا سبيل الى رؤية المحدث : فانه اذا اشهدك لم يحدثك ، واذا حدثك لم يشهدك . فالحديث ابدًا لا يكون الا خلف الحجاب الأقدس : فانه اذا كلمك أعماك وأصمك وأنطقك ؛ واذا أشهدك أفناك وأصمك وأخرسك ! » (الجواب المستقيم ورقة ٢٦٦) .

« الجواب : التكليف . فان النبوة لا بد فيها من علم التكليف . ولا تكليف في حديث المحدثين جملة ورأساً . هذا ان اراد انبياء الشرائع . فان اراد اصحاب النبوة المطلقة ، فالمحدثون اصحاب جزء منها . فالنبي الذي لا شرع له فيما يوحي اليه به هو رأس الأولياء وجامع المقامات ، مقامات ما تقتضيه الاسماء الالهية ، مما لا شرع له فيه من شرائع انبياء التشريع الذين يأخذون بواسطة الروح الامين من عين الملك . والمحدث ما له سوى الحديث ، وما ينتجه من الأحوال والاعمال والمقامات . فكل نبي محدث ، وما كل محدث نبي وهؤلاء هم انبياء الأولياء .

واما الانبياء الذين لهم الشرائع ، فلا بد من تنزل الارواح على قلوبهم بالأمر والنهي . وما عدا ما يتنزلون به من الامر والنهي ، مثل العلوم الالهية والاخبارات عن الكوائن والامور الغائبة — فذلك خارج عن نبوة الشرائع . وهو من احوال الانبياء على العموم ، وينالـه المحدث .

فان ظهر من اصحاب النبوة المطلقة حكم من الاحكام الظاهرة من انبياء الشرائع ، من قتل او اخذ مال او فعل من الافعال يناقض حكم شرع الزمان المقرر — فاعلم ان هذا النبي ، الذي ما له شرع ، ليس ذلك من شرع نزل اليه وخوطب به . بل لا يزال نائماً لرسول قد شرع له ما شرع . وانما اتفق انه اخبر باتباع شرع رسول قد شرع له مما لم يشرع لرسول آخر . وحكمه في حق هذا الرسول يعارضه حكم الرسول الآخر . فاذا اجتمع هذا الشخص ، الذي هو جذء المثانية ، مع رسول من الرسل ، كالخضر مع موسى عليه السلام ، فحكم في قتل الغلام بما حكم ، وانكر عليه موسى قتل نفس زكية في ظاهر الشرع بغير نفس ، مما لم يكن ذلك حكمه في شرعه ، فقال له : « لقد جئت شيئاً نكرا » اي ينكره شرعي ، وقال له الخضر : « ما فعلته عن امري » يعني في كل ما جرى منه — فكان الخضر في حكمه على شرع رسول غير موسى ، فحكم بما حكم به مما يقتضيه شرع الرسول الذي اتبعه . ومن شرع ذلك الرسول حكم الشخص بعلمه . فحكم بعلمه في الغلام بأنه كافر . فلم يكن حكم الخضر فيه من حيث انه صاحب شرع منزل ، وانما حكم فيه مثل حكم القاضي عندنا بشرع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا المد تصدر الأحكام من انبياء الأولياء .

فان قيل : هذا يجوز في زمان وجود الرسل ، واليوم فقد تم شرع الآلاف واحد فهل يتصور ان يحكم انبياء الأولياء بما يخالف شرع محمد ، صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : لا ، نعم ! فاما قولنا : لا ، فانه لا يجوز ان يحكم برأيه . وأما قولنا : نعم . فانه يجوز للشافعي ان يحكم بما يخالف به حكم الحنفي وكلاهما شرع محمد ، صلى الله عليه وسلم : فانه قرر الحكمين . فخالفت شرعه بشرعه .

فاذا اتفق ان يخبر انبياء الأولياء فيما يلزمهم الحق من احكام شرع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، او يشهدون الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فيخبرهم بالحكم في امر يرى خلافه احمد والشافعي ومالك وابو حنيفة ، لحديث رووه صح عندهم عن طريق النقل ، فوقفت عليه انبياء الأولياء وعلمت من طريقها ، الذي ذكرناه ، ان شرع محمد يخالف هذا الحكم وان ذلك الحديث في نفس الأمر ليس بصحيح - وجب عليهم امضاء الحكم بخلافه ضرورة. كما يجب على صاحب النظر اذا لم يقم له دليل على صحة ذلك الحديث وقام لغيره دليل على صحته ، وكلاهما قد وفى الاجتهاد حقه - فيحرم على كل واحد من المجتهدين ان يخالف ما ثبت عنده . وكل ذلك شرع واحد .

فمثل هذا يظهر من انبياء الأولياء بتعريف الله انه شرع هذا الرسول . فيتخيل الاجنبي فيه انه يدّعي النبوة ، وأنه ينسخ بذلك شرع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيكفّره . وقد رأينا هذا كثيرًا في زماننا ، وذقناه من علماء وقتنا . فنحن نعذرهم ، لانه ما قام عندهم دليل صدق هذه الطائفة . وهم مخاطبون بغلبة الظنون . وهؤلاء علماء بالاحكام ، غير ظانين بمحمد الله . فلو وفوا النظر حقه ، لسلموا له حاله كما يسلم الشافعي للمالكي حكمه ولا ينقضه اذا حكم به الحاكم . غير انهم ، رضي الله عنهم ، لو فتحوا هذا الباب على نفوسهم لدخل الخلل في الدين من المدعي صاحب الغرض: فسدوه . وقالوا: ان الصادق من هؤلاء لا يضرّه سدّنا هذا الباب . ونعم ما فعلوه !

ونحن نسلّم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالأجر التام عند الله . ولكن اذا لم يقطعوا بأن ذلك خطأ في مخالفتهم . فان قطعوا فلا عوز لهم . فان اقل الاحوال ان يتركوهم بمنزلة اهل الكتاب : « لا تصدقهم ولا تكذبهم » . فانه ما دل لهم دليل صدقهم ولا كذبهم . بل ينبغي ان يجروا عليهم الحكم ، الذي ثبت عندهم مع وجود التسليم لهم فيما ادعوه . فان صدقوا فلهم (أجر صدقهم) ، وان كذبوا فعليهم (وزر كذبهم) .

فعلى هذا تجري الاحكام من انبياء الأولياء . لا انهم أرباب شرائع بل اتباع (شرائع) ولا بد . ولا سيما في هذا الزمان الذي ظهرت فيه دولة محمد صلى الله عليه وسلم . والمحدثون ليست لهم هذه الرتبة . بل رتبتهم الحديث لا غير . فهم ناظرون في كل شيء ، آخذون من عين كل شيء ، من كون كل شيء مظهر حق . غير انهم لا يتعدون حدود الله جملة . فان صدر منهم ما هو في الظاهر تعدّ لحدّ من حدود الله ، فذلك الحد هو بالنسبة اليك حدّ وبالنسبة اليه مباح لا معصية فيه . وانت لا تعلم ، وهو على بيّنة من ربه في ذلك . فما اتى محرمًا من هذه صفته . فانه ممن قيل فيه : « اعمل ما شئت » . فما عمل الا ما اباح له عمله . فانه امر لا على جهة الوعيد ، مثل قوله (تعالى) : « اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير » ، فهذا وعيد .

(السؤال الثامن والخمسون) : واين مكانهم منهم[٩٨] ؟

واما قولنا فيمن قيل له : اعمل ما شئت فقد غفرت لك ، فمحمل على كشفه وتحقق . وهذا ثابت في شرعنا بلا شك . فاهل الحديث ايضاً لهم في مثل هذا قدم . ولكن ليسوا (الاصل : ليس) هم مخصوصين به ، بل يشاركهم فيه من ليس بمحدث من الاولياء .

وقد عرفت صفة المحدثين فيما قيل ، وصفة النبيين ففف عند ذلك ! « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » . (فتوحات ٣ : ٧٨-٨٠)

٩٨) « الجواب : مكان القدم الذي يرفعونه ، لا غير . وابو يزيد البسطامي رضي الله عنه ، ممن احترق من خلف الحجاب ، عند مشاهدته قد خرّز (في الاصل : حرت) الابرة من الاختصاص المحمدي . ولقد ترق في وقتنا هذا بعض العراقيين ، وهو محمد اللّواني (الاصل : الأواني) رحمه الله ، الى ان لم يَرَ امامه سوى قدم واحدة ، فادركته الحيرة . فقيل له : امكن فانما قدم نبيك ! فمكن . وأشار بذلك الى علوه على عبدالقادر الجيلي . فقيل ذلك لعبدالقادر . فتبسم . وقال : صدق محمد ! ولكني كنت في المخدع ، حين خرجت له الثوالة . وذكر له العلامة . فأقر محمد بفضله وتقدمه . فقال عبد القادر : محمد من الافراد ، ولذلك خفي عنه عبد القادر لانه خارج عن دائرته . وكان هذا عبدالقادر ، ممن اعطى التصرف وقبله وحكم به . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٦ب - ٣٤٧ا) .

« الجواب : مكان التابع من المتبوع ، وهو المشي على الاثر . قال شيخنا محمد بن قائد : « رأيت في دخولي عليه (على الحق ، سبحانه) أثر قدم امامي . فقرت . فقيل لي : هذه قَدَم نبيك ! فمكن ما بي » .

فاعلم ان هذه الدولة (الدورة ؟) المحمدية جامعة لأقدام النبيين والمرسلين ، عليهم السلام ! فأيّ ولي رأى قَدَماً امامه ، فتلك قدم النبي الذي هو له وارث . وأما قَدَم محمد ، فلا يطأ اثره احد ، صلى الله عليه وسلم ! كما لا يكون احد على قلبه . فالقدم التي رآها محمد بن قائد ، او يراها كل من يراها ، فتلك قَدَم النبي الذي هو له وارث ، ولكن من حيث ما هو محمدي لا غير . ولهذا قيل له (لمحمد بن قائد) : « قدم نبيك » ، ولم يقل له : هذه قدم محمد ، صلى الله عليه وسلم ! فان كان الشيخ فهم منه ما ذكرناه ، فهو من اهل الحديث والكمال . وان كان فهم منه قدم محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فذلك صدع اصاب عين فهمه . — ولهذا قال السائل : « اين مكانهم منهم ؟ » ولم يقل : منه . والمكان هنا يعني به المكانة . —

وحكي عن عبد القادر الجيلي انه قال ، حين قيل له ما قاله هذا الشيخ (= محمد بن قائد) : كنت في المخدع ، ومن عندي خرجت له الثوالة ، يعني العلامة التي اعطى . لانه سئل (محمد بن قائد) عنه (= عبد القادر) ، فقال : ما رأيته في الحضرة . فقيل ذلك لعبد القادر ،

فلذلك قال : كنت في المخدع ، وسمّى النوالة . وكان كما قال . وانما قال (عبدالقادر) : في المخدع ، ولم يسمّ مكان صونه وعينه بهذا الاسم ، ليعلم بخداع الله محمد بن قائد حيث حكم انه ما رأى عبد القادر في الحضرة في معرض النقاسة عليه . فان حضرة محمد بن قائد في هذه الواقعة هي حضرته التي تختص به من حيث معرفته بربه لا حضرة الحق من حيث ما يعرفه عبد القادر أو غيره من الأكابر . فستر عنه مقام عبد القادر خداعاً . فهم ذلك عبد القادر ، فقال : كنت في المخدع . — وقوله : ان من عنده خرجت النوالة ، يدل على ان عبد القادر كان شيخه في تلك الحضرة ، وعلى يديه استفادها وجهل ذلك محمد ابن قائد فان الرجال في ذلك كانوا تحت قهر عبدالقادر ، فيما يحكى لنا من احواله واحوالهم . وكان يقول هذا عن نفسه ، فيسلم له حاله . فان شاهده يشهد له بصدق دعواه . فانه كان صاحب حال مؤثرة ربانية ، مدة حياته . لم يكن صاحب مقام وما انتقل الى حال ابي السعود ، وان كان تلميذه ، الا عند موته : وهي الحال الكبرى . وكانت هذه الحال مستصحبة لابي السعود طول حياته . فكان عبداً محضاً ، لم تشب عبوديته ربوبية . فاعلم ذلك !

ثم لتعلم ان مكان كل واحد من نبيه ، الذي هو وارثه ، انما مكانه منه على الحال التي اثّر له طريقه . فانه لا يرث احد نبياً على الكمال . اذ لو ورثه على الكمال لكان هو رسولاً مثله او نبيّ شريعة تخصه ، يأخذ عمن يأخذ عنه . وليس الامر كذلك . الا أنّ الروح الذي يلقى على ذلك النبي تمتد منه رقيقة ملكية لقلب هذا الرجل الوارث ، في صورة حالة مشربة في ظاهرها ، بصورة ذلك الملك . وتسمّى تلك الروحانية باسم ذلك الملك . وتخاطب هذا الوارث ويخاطبها هذا الوارث بقدر حاله . ويطلق على تلك الرقيقة اسم ذلك الروح . وربما يعض الورثة يتخيل انه عين الروح ، الذي كان يلقي على ذلك النبي . وانه الروح عينه ، والصور مختلفة . وليس الامر كذلك . والخطاب من حيث الصورة لا من حيث الروح ، وتتميّز المرتبة بالصورة .

٨٥ فمعرفة الانسان بنفسه ومرتبته لا تعلم الا من الصورة . ومن هنا يتخيل ، من لا تمكّن له في المعارف الالهية ذوقاً ، انه نبيّ او قد نال درجة انبياء الشرائع . ولهذا قال بعض السادة ، من رجال الله : « جعلك الله محدثاً صوفياً ولا جعلك صوفياً محدثاً . فان الغالب ان تكون بحكم الاصل المتقدم ، الّا ان يعصم الله . »

فمعرفة المكان الذي لنا من الانبياء واجب علينا العلم به ، لئلا نكون ممن لبس عليه في ذلك . ولا سيما وانه يقول : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون » « ولو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ». ولو كان رجلاً لظهر في صورة مَلَك للالتباس المطلوب ، الذي هو صورة عملهم ، ليعلم انه ما اتى عليهم الا منهم . فما جنوا الا ثمرة عملهم . هذا هو الحق ! » (فتوحات ، ٣ : ٨٠)

(السؤال التاسع والخمسون) : وأين سائر الاولياء[١١] ؟

٩٩) « الجواب : خلف حجاب النور في النور . والمؤمنون خلف حجاب الغيب في النور . والرسل والانبياء في الضياء والظلال . فلهم الكشف الاتم ، والراحة العظمى . والافراد هم الذين يغبطهم الانبياء لمنع الحق لهم التصرف في وجودهم ، فاحرى في الكون . »
(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٧) .

« الجواب : في النور ، خلف حجاب السبحات الوجهية من الانوار والظلم في نور ممتزج بينها ، كنور الاسحار وهو الدفقة . واما المؤمنون فاهم في النور العام المبطون في ظلم الحجب . ومنه تخلص الأولياء الى هذا النور الممتزج . والاكابر احرقتهم انوار السبحات . وخواص الاكابر احرقهم نور البصر .

فالاولياء لا يتجاوز علمهم الصفات الذاتية ، من حيث ما هي منسوبة الى الحق الموصوف بها ، لا من حيث ما دلّت عليها دلالة الآثار . فهم يعرفون العالم من الله ، ويعرفون الله بالله . ومن دونهم ، يعرفون الله من العالم .

واما العالم فلا يعرفه من نفسه الا أكابر الرجال ، الذين لا يعرفون الاشياء او المعلومات الا من نفوسها واعيانها ، فلا يتخذون دليلًا على الشيء او المعلوم سوى نفس ذلك (الشيء أو) المعلوم . وذلك لارتفاع المناسبات والسريان الاحدية في كل (شيء و) معلوم : فكما انه لا مناسبة بين الله وبين خلقه كذلك لا مناسبة بين اعيان العالم والمظاهر . فلا يعرفون شيئًا بشيء ولا معلومًا بمعلوم غيره (= غير ذلك الشيء او المعلوم) . وسائر الاولياء ما لهم هذه المرتبة .

وكيف يعرف الشيء بغيره ؟ ولا يجتمع الدليل والمدلول ! فان احدهما اذا انتفى بوجود الآخر جهلت المناسبة المتخيلة . فذلك المدلول انما عرفته حين ظهر لك بنفسه . واما حين نظرك الى الدليل ، على زعمك ، فلا علم لك الا بذات الدليل . لان ذاته عرّفتك بذاته ، لا بما جعلته دليلًا عليه . فان المدلول ، في حين علمك بالدليل ، لست بعالم به .

فهذا الذي جعل اكابر الرجال لا يتخذون امر الأمر . وانما يتخذون كل امر لنفسه وعينه . فيعلمون هؤلاء الله بالله ، والعالم بالعالم ، والاسماء بالاسماء . فلا فكر لهم في استنباط شيء كما لسائر الاولياء . فلهم الشهود الدائم !

فاينية سائر الأولياء في الادلة . فلا يشهدون مدلولًا ابدًا . وعلى هذا جرت أحكامهم . — واما أينيّتهم في القيامة ، فهم الذين لا يخافون « ولا يحزنهم الفزع الاكبر » لانهم ما لهم نبع وهم في انفسهم آمنون . فتحيطهم الانبياء في ذلك الموطن خاصة . — واما اينيتهم في الكثيب ، يوم الزور الاعظم ، فلهم الكراسي عليها يقعدون والمنابر والأسرة . والمراتب لغيرهم ، ولكن من حيث هم رسل وانبياء ومؤمنون .

(السؤال الستون) : وما خوض الوقوف [١٠٠] ؟

وأما الاكابر في العلم بالله فان لهم قوة على التحول في رقائق التحول التجلي في الصور . فيبصرون لكل تجلٍ في صورة رقيقة صورية من ذواتهم ، تشاهد ما يشاهده اهل الجمع . وهم في تلك الحال في قصورهم ينعمون في صور احسامهم الطبيعية . فهم مع الله (الاصل : ومع الله) ، من حيث كونه احدى الذات ، بحقايقهم ، و(هم) في الكثيب عند الرؤية برقايقهم المنوية التي اوجدوها لصور التجلي ومن سواهم ؛ فحالهم (اتم) اذا كانوا في الجنان لا يكونون في الكثيب ؛ واذا كانوا في الكثيب لا يكونون في الجنان ، فتفقدهم جواريهم وولداتهم . واكابر القوم لا يفقدهم شيء من ملكهم . فهؤلاء بأيديهم ملكوت ملكهم »

(فتوحات ، ٢ : ٨٠-٨١)

(١٠٠) « الجواب : مشاهدة الماء ، الذي ذكره النبي ، عليه السلام ، حين قيل له : « اين كان الله قبل ان يخلق الخلق ؟ فقال ، صلى الله عليه وسلم : في عماء ، ما تحته هواء وما فوقه هواء . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤ظ) .

« الجواب . دخول بعضهم في بعض ، طلباً للتخلص مما هم فيه من شدة ذلك اليوم وكربه . فمنهم الخائض في طلب ويشفع له . ومنهم الخائض في طلب من يتكرم (يكرم) عليه لينقذه من هول ذلك اليوم . ومنهم الخائض في طلب من يشهد له . ومنهم الخائض في طلب الخصم لطلب القصاص . ومنهم الخائض ليختفي ويستتر من خصمائه . ومنهم الخائض ليستتر حياءً من معارفه . وعلى هذا كان يسأل شيخنا ابو عمران موسى بن عمران المرتلي . قلت له يوماً : لم تغفل من معارفك ؟ فقال : ربما لا اكون هناك بذاك ، فاستحي من معارفي . فاذا لم أرَ من اعرف ، هان عليَّ بعض الحال . — ومنهم الخائض ليعرف منزلته . لما هو عليه من المكانة عند ربه « ليغيظ بهم الكفار » . وأمثال هذا هو خوض الوقوف اذا تأملت .

واما الطائفة التي كانت تخوض في آيات « وكانوا بها يستهزؤون » ، فان الله يخوض بهم في غمرات أعمالهم : كما كانوا في الدنيا « في خوضهم يلعبون » ، يكونون في الآخرة « في خوضهم يحزنون » . — « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . واذا مروا بهم يتغامزون . واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين . واذا رأوهم قالوا : ان هؤلاء لضالون » — فهذا خوضهم في الدنيا — « وما ارسلوا عليهم حافظين . فاليوم الذي آمنوا من الكفار يضحكون » — الصورة بالصورة ، فهذا خوضهم في الوقوف .

قال تعالى ، يوصينا ويحذرنا ممن هذه صفته : « واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض

---

[١٠٠] — ش وما حط الرفرف V .

السؤال الحادي والستون : وكيف صار امره كلمح البصر[١٠١] ؟

عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » ، «انكم اذن مثلهم» اذا لم تقم منهم . وهم بهذه المثابة وان لم يخوضوا (الاصل: تخض) معهم . — قال تعالى : « ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ » . « يا عبادي ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون » . — فهؤلاء في الوقوف يحاص بهم من حيث يكرهون ، كما خاضوا هنا حيث يكره الحقّ منهم . — والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ! » . (فتوحات : ٣: ٨١)

١٠١) « الجواب : من حيث ان اللمحة (من البصر) كانت (الاصل : وان كانت) واحدة واحا (أمر) واحد فانتظمت (الاصل : واسط) ما تتضمنه من المبصرات من الفلك الأقصى الى حيث بلغت . وتنوّعت المبصرات فتنوّعت العلوم ، والامر واحد . فكذلك « الامر » : تنوعت آثاره مع احديته في ذاته » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٧ — ٣٤٧) .

« الجواب : الضمير في «امره» يعود على الوقوف . فاعلم ان الكيفيات لا تنال . ولكن نقال بضرب من التشبيه . فان « امره واحدة» اي كلمة واحدة مثل «لمح البصر» . فان اللمحة الواحدة من البصر ثم من احكام المرئيات ، من حيث الراءي الى الفلك الأطلس ، جميع ما يحوي عليه ما أدركه بصره في تلك اللمحة من الذوات والأعراض القائمة بها من الأكوان والألوان .

— وفي العبادات كلٌّ مُصَلٍّ . والخلق كله مُصَلٍّ . من حيث دعي ليناجي ربه في الان الواحد . كذلك أمره في الوقوف مع كون ذلك المقدار الزماني خمسين الف سنة من ايام الدنيا . وهو يوم « ذي المعارج » . و « يوم الرب » من « يوم ذي المعارج » مثل نصف خمس الخمس .

فالأيام وان اختلفت مقاديرها ، وعدّها اليوم الشمسي ، فان امر الله فيها مثل لمح البصر ، للافهام والتوصيل . وربما هو في القلة اقل من هذا المقدار . بل مقداره الزمان الفرد المتوهم ، الذي هو « يوم الشأن » . فالشأن ، بالنظر الى الحق ، واحد منه ؛ وبالنظر الى قوابل العالم كلّه شؤون . لولا (أنّ) الوجود حصرها ، لقلنا انها لا نهاية لها . فانظر الحكم الواحد من الحاكم كيف تعدد وعظم بحيث لا يمكن ان يحصره عدد من حيث العالم وانما يحصيه « من احاط بكل شيء علماً » و«احصى كل شيء عدداً » .

فكما صارت الخمسون الف سنة كيوم واحد وفي يوم واحد ، كذلك صار « امره كلمح البصر » . وسبب ذلك ، ان الذي يصدر منه الامر لا يتقيد . فهو في كل مأمور بحيث أمَرَ . فينفذ الامر بحكمه دفعة واحدة . وهذا اذا لم يعد في المحدثات وجوده

السؤال الثاني والستون). : وامر الساعة أقرب من لمح البصر[١٠٢] ؟

بهذه السنة ، فما ظنك بالأمر الحق . فان المراد حكمه في كل شيء من العالم الطبيعي اسرع من لمح البصر . وهو أمر واحد ، كالانسان الواحد . وكذلك الروح الأمري في الفصول وفي الاجسام الطبيعية . فمثل هذا لا يستبعده الا من لا علم له بالأمور والحقايق ، ولاسيما.

واين أعاد الضمير في سؤاله من « أمره » على الضمير المذكور في سورة القمر : « وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر » وهو الذي اراد ، والله أعلم . مع انه يسوغ ان يعود (الضمير) على الوقوف وعلى الحوض، فان الزمان الواحد يجمع الحائضين في حوضهم و(الواقفين) . – والله الهادي من شاء الى الحق والى طريق مستقيم . » (فتوحات ، ٣ : ٨١–٨٢)

(١٠٢) « الجواب : لان لمح البصر انما سمي تشبيهاً للتوصيل . فلما استقر في نفس السامع ، قيل له : هو اقرب من ذلك . وسميت الساعة (ساعة) لانها تسعى بما فيها . فوقع التشبيه « بلمح البصر » ، لان البصر له سعي باللحظة في المرئيات : فاشتركا في السعي . »

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٧ ب) .

« الجواب : سميت الساعة ساعة ، لانها تسعى الينا بقطع هذه الأزمان لا بقطع المسافات ، وبقطع الأنفاس . فمن مات وصلت اليه ساعته ، وقامت قيامته الى يوم الساعة الكبرى ، التي هي لساعات الانفاس كالسنة لمجموع الايام التي تعينها الفصول باختلاف احكامها .

« فامر الساعة » وشأنها في العالم «اقرب من لمح البصر» . فان عين وصولها عين حكمها . وعين حكمها عين نفوذ الحكم في المحكوم عليهم . وعين نفوذه عين تمامه . وعين تمامه عين عمارة الدارين : « فريق في الجنة وفريق في السعير » .

ولا يعرف هذا القرب الا من عرف قدرة الله في وجود الخيال في العالم الطبيعي . وما يجده العالم به من الامور الواسعة في النفس الفرد والطرفة . ثم يرى اثر ذلك في الحس بعين الخيال . فيعرف هذا القرب ، وتضاعف السنين في الزمن القليل من زمان الحياة الدنيا . ومن وقف على حكاية الجوهري رأى عجبا ، وهو من هذا الباب .

فان قلت : وما حكاية الجوهري ؟ – قلنا : ذكر عن نفسه انه خرج بالمجين من بيته الى الفرن . وكانت عليه جنابة . فجاء الى شط النيل ليغتسل . فرأى ، وهو في الماء، مثل ما يرى النائم كأنه في بغداد وقد تزوج وأقام مع المرأة ست سنين ، وأولدها اولاداً ، غاب عني عن عددهم . ثم رُدَّ الى نفسه ، وهو في الماء . ففرغ من غسله وخرج وليس ثيابه وجاء الى الفرن واخذ العجين ، وجاء الى بيته وأخبر اهله بما أبصره في واقعته . فلما كان بعد اشهر ، جاءت تلك المرأة ، التي رأى انه تزوجها في الواقعة ، تسأل عن داره . فلما اجتمعت به عرفها وعرف الاولاد وما انكرهم . وقيل له : متى تزوج ؟ فقال : منذ ست سنين . وهؤلاء اولاده

(السؤال الثالث والستون): وما كلام الله تعالى لعامة اهل الوقوف[ط] (١٠٢) ؟

(السؤال الرابع والستون): وما كلامه للموحدين[ط] (١٠٤) ؟

مني . فخرج بالحس ما وقع في الخيال . وهذه من مسائل ذي النون المصري الستة ، التي تحيلها العقول .

فلله قوى في العالم ، خلقها مختلفة الاحكام كاختلاف حكم العقل في العامة من حكم البصر من حكم السمع من حكم الطعم وغير ذلك من القوى التي في عامة الناس . فاختص الله اولياءه بقوى لها مثل هذه الاحكام . فلا ينكرها الا جاهل بما ينبغي للجناب الالهي من الاقتدار . وفي معراج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما فيه كفاية في هذا الباب ، مع بعد المسافات التي قطعها في الزمان القليل .» (فتوحات ، ٢ : ٨٢)

(١٠٣) «الجواب: ذلك راجع الى أسماعهم . فيسمع كل شخص بحسب ما يطلبه حاله . فلا يتقيد بأمر عام ، ولا حالة مخصوصة.» (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٧ ظ)

«الجواب: يقول لهم: ما جئتم به ؛ فيقع في اسماع السامعين ذلك مختلفاً باختلاف احوالهم بأسماعهم ، بل تختلف أسماعهم بحسب احوالهم في الموقف . ولا يحصل في سمع واحد منهم ما حصل في سمع الآخر . وهو السؤال عن النفس الذي قيض فيه . ولا يكون هذا الكلام الا لأهل الوقوف خاصة ، الذين هم في هول ذلك اليوم .

واما المتصرفون فيه كالانبياء والرسل والدعاة الى الله ، وكالمتربين من اهل المنابر الذي «لا يزحم الفزع الأكبر» . وكالمصونين في مرادقات الجلال خلف حجاب الانس — فهؤلاء كلهم واشالهم ما هم من اهل الوقوف . فأهل الوقوف هم الذين ينتظرون حكم الله فيهم . فيجيبونه عند هذا الكلام بما فهم كل واحد منهم .»

(فتوحات ، ٢ : ٨٢ — ٨٣)

(١٠٤) «بالجواب: بالتفريع !» (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٧ ظ).

«الجواب: يقول لهم : فبماذا وحدتموني ؟ وبماذا وحدتموني ؟ وما الذي اقتضى لكم توحيدي ؟ . — فان كنتم وحدتموني في المظاهر ، فأنتم القائلون بالحلول . والقائلون بالحلول غير موحدين . لأنه اثبت اثنين : حالّ ومحلّ . — وان كنتم وحدتموني في الذات دون الصفات والافعال ، فما وحدتموني . فان العقول لا تبلغ اليها . والخبر من عندي ، فما جاءكم بها . — وان كنتم وحدتموني في الالوهة بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية ، من كونها

ط الموقف V .

ط + فانه قال في تنزيله عندما ذكر العداة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم VF .

(السؤال الخامس والستون) : وما كلامه للرسل ، عليهم السلام (١٠٤)؟

عيناً واحدة مختلفة النسب – فبماذا وحدتموني ؟ هل بعقولكم؟أو بي؟ وكيفما كان فما وحدتموني. لان وحدانيتي ما هي توحيد موحّد: لا بعقولكم ولابي. فان توحيدكم اياي هو توحيدي لا توحيدكم وبعقولكم . كيف يحكم عليّ بأمر من خلقته ونصبته ؟

وبعد، ان ادعيتم توحيدي، بأي وجه كان، فما الذي اقتضى لكم توحيدي؟ . – ان كان اقتضاء وجودكم ، فانتم تحت حكم ما اقتضاه منكم : فقد خرجتم عني ، فاين التوحيد ؟ .–وان كان اقتضاء امري ، فأمري ما هو غيري : فعلى يدي من وصلكم ان رأيتموه مني ، فمن الذي رآه منكم ؟ وان لم تروه مني فأين التوحيد ؟

يا ايها الموحدون ! كيف يصح لكم هذا المقام ؟ وانتم المظاهر لعيني وانا الظاهر ، والظاهر يناقض المرئية : فأين التوحيد ؟ لا توحيد في المعلومات ، فان المعلومات انا واعيانكم والمحلات والنسب : فلا توحيد في المعلومات .

فان قلتم : في الوجود ، فلا توحيد : فان الوجود عين كل موجود . واختلاف المظاهر يدل على اختلاف وجود الظاهر . فنسبة عالم ما هي نسبة جاهل ولا نسبة متكلم. فأين التوحيد؟

فيا أيها الموحّدون ! استدركوا الغلط . فما ثَمَّ الا الله . والكثرة في « ثَمَّ » . وما هم (ثَمَّ ؟) سواه ، فأين التوحيد ؟. – فان قلتم : التوحيد المطلوب في عين الكثرة ، قلنا : فذلك توحيد الجمع . فأين التوحيد ؟ فان التوحيد لا يضاف ولا يضاف اليه .

استدوا ، ايها الموحدون ، للجواب عن هذا الكلام ، اذا وقع السؤال ! فان كان اهل الشرك لا ينفر لهم فيحقيقة ما نالوا ذلك . لانه لو غفر لهم ما قالوا بالشريك . فشاهدوا الامر على ما هو عليه . فان قلت: فمن اين جاءهم الشقاء ؟ وهم بهذه المثابة، وان عدم المغفرة في حقهم ثناء عليهم ، – قلنا : لانهم عيّنوا الشريك ، فاشقاهم توحيد التعيين ! فلو لم يعيّنوا لسعدوا . ولكن هم ارجى من الموحّدين لدرجة العلم . – جعلنا الله ممّن وحّده بتوحيد نفسه ، جلّ علاه ! (فتوحات ، ٢ : ٨٣)

(١٠٥) « الجواب : ماذا أُجِبْتُمْ ؟ » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٧ ب) .

« الجواب: ما قاله تعالى: « يوم يجمع الله الرسل ، فيقول : ماذا اجبتم ؟ » فآلوا الى « لا علم لنا » . فسلموا امرهم لما وُجّهوا دعوا الى الله تعالى أنهم ظاهراً وباطناً بدعوة واحدة. فلو كلفوا الظواهر لم يكن قولهم « لا علم لنا » جواباً . –ومن هنا لم يصح جميع فروع احكام الشريعة من المنافق . لانه ما أجاب بباطنه لدعوته مثل ما أجاب بظاهره . وصحت فروع أحكام الشريعة من العاصي المؤمن بباطنه .

F ٢٠ – ٢٠ .

فعلمنا ان المقصود للشرع الباطن ، ولكن بشرط مخصوص . وهو ان يعم الايمان جميع فروع الاحكام وأصولها . فان آمن ببعض وكفر ببعض فلا يعتبر مثل ذلك ، وهو الكافر حقاً .

فيقول الله تعالى للرسل : «ماذا اجبتم ؟» اذا كان كلامهم لهم في حق ما كلفهم من الدعوة اليه . فان اراد السائل ما كلامه للرسل فيما يختص بذواتهم من كونهم عبيداً مقربين — فيكلمهم بما يكلم به المقربين من عباده . فكلامه للرسل المقربين : ممن اعتقدتم القربة ؟ لعل اعتقدتم ان اقترابكم الينا ؟ او الى سعادتكم ؟ او الى معرفة ذواتكم ؟ او الى معرفتي ؟ . — فان اعتقدتم اقترابكم الينا ، فقد حددتموني وانا لا حدّ لي . — وهذا اللسان الذي اذكره في هذا الفصل انما هو كلام الحق لمن «دعا الى الله على بصيرة» كما قال : «ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني» . فهذا لسان من اتبعه في دعوته الى الله نيابة عنه . فكأنه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : «يدعو الى الله على بصيرة» من حيث دعا الرسول ، لأنهم ورثة . وانما قلنا هذا ، لأن كلامه للرسل لا يعرفه الا الرسل ولا ذوق لنا فيه . ولو عرفناه به ما عرفناه . ولو عرفناه لكنا رسلاً مثلهم . ولا حظ لنا في رسالتهم ولا في نبوتهم . وكلامنا لا يكون الا عن ذوق . فالجواب عن هذا السؤال ، اذا اراد الرسل ، ترك الجواب . فاردنا ان نفيد أصحابنا في ان تتكلم في كلامه تعالى للرسل ، الذين هم الورثة ، رسل الله لما دعوا الى الله على بصيرة . وشرك رسول الله ، صلى الله عليهم وسلم ، في الدعوة الى الله تعالى على بصيرة بينه وبين من اتبعه . فاعلموا من أين تتكلم وفيمن أتكلم وممن نبين .

ثم نرجع الى ما كنا بسبيله ، فنقول : فيقول (الله تعالى) : فقد حددتموني ، وانا لا حد لي . فنقول : هذا الذي تقول (هو) لسان العلم ، وانت خاطبتنا بلسان الايمان فآمنا . فقلت : «من تقرب اليّ شبراً تقربت اليه ذراعاً . ومن تقرب اليّ ذراعاً تقربت منه باعاً» . فما حددنا لك الا بحدك : فأنت حددت نفسك بنا وحددتنا بك . والا فمن اين لنا ان نحدد ذواتنا ؟ فكيف ان نحدك ! وجعلت الايمان ، بما ذكرناه ، قربة اليك . فهذا كلامك ولسان الايمان . ونحن لا جراءة لنا على ان نقول ما قلته عن نفسك . فيقول (تعالى) : صدقتم ! هذا لسان الايمان .

فتقول طائفة منهم : اقربنا الى سعادتنا ! فيقول : سعادتكم قائمة بكم ، وما برحت منكم في حال طلبكم القربة اليها . فان لم تعلموا ذلك ، فقد جهلتم . وان علمتموه ، فما صدقتم . اذن ، فلا قربة لـ . — فان قالت طائفة : انما اعتقدنا القربة الى معرفة ذواتنا . فيقول لهم : الشيء لا يجهل نفسه . لكنه لا يعرف انه يعرف نفسه ! لان معرفة الشهود تحجب عن معرفة المشهود . فطلبكم القربة ، من معرفة ما هو معروف ، لا يصح .

فان قالت طائفة ، ولا بد ان تقول : انما اعتقدنا القربة من معرفتك . فيقول لهم :

(السؤال السادس والستون) : والى أين يأوون يوم القيامة من العَرَصة[١٠٦] ؟

كيف يعرف « من ليس كمثله شيء » ؟ فلو كان شيئاً لجمعتها الشيئية فيقع التماثل فيها . اذن ، فلا شيئية له . فليس هو شيئاً ، ولا هو لا شيء . فان لا شيء (هو) صفة المعدوم . فما ثله المعدوم في انه لا شيء . وهو لا يماثل . « فليس مثله شيء » . وليس مثله لا شيء . ومن هو بهذه المثابة ، كيف يعرف ؟ فبطل اقترابكم الى معرفتي . فبطل ان تكونوا من المقربين .

فيقولون : « لا علم لنا الا ما علمتنا . انك انت العليم الحكيم » . فيقول : انتم رسل ؟ . — وحقيقة الرسول ان يكون بين مرسل ومرسل اليه . وهو حامل اليهم رسالة ليحكموا بحكم ما تقتضيه تلك الرسالة . فالرسول لما كانت مرتبته البينية ، كان أقرب من المرسل اليهم الى الامر الذي ارسله . وكان المرسل اليهم اقرب الى الامر القابل لما جاء به الرسول من الرسول . فالكل من المقربين . فان لم يقبلوا الرسالة كان الرسول من المقربين وكان المرسل اليهم غير متصفين بالقربة : فكانوا من المبعدين . » (فتوحات ٢ : ٨٣-٨٤)

١٠٦) « الجواب : يأوون عند السؤال الى « لا علم لنا » . ويأوون ، من عرصة القيامة ، الى كل منزل يقع فيه الحبس ، على ما يعطيه المحبوس فيه : كالجسور ، والدهاب (مفردها : عتبة) ، والسرادقات ، وامثال ذلك . وهي خمسون منزلاً ؛ يقفون في كل منزل الف سنة . فذلك قوله (تعالى) : « في يوم كان مقداره خمسين الف سنة » . وقد ورد بذلك خبر موقوف ؛ والامر صحيح في نفسه . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٧ ظ) .

« الجواب : الى ساق العرش . ويوم القيامة له مواطن كثيرة . فالرسل يأوون يوم القيامة من العَرَصة في كل موطن الى الموضع الذي يكون فيه تجلي الحكم الالهي الذي يليق بذلك الموطن . فموطن للسؤال . وموطن للموازين . وموطن لأخذ الكتب . وموطن للصراط . وموطن للحوض .

فموطن القيامة ، تكون الرسل فيها بين يدي الحق سبحانه كالوزعة بين يدي الملك . واقربهم منزلة من هو ادنى من « قاب قوسين » . وهو التقاء قطري الدائرة . ثم يأوون في السؤال العام الى « ما لا علم لنا » ، وفي السؤال الخاص بحسب ما يقتضيه ذلك السؤال من الجواب .

وللحق سؤال في كل عرصة من عرصات القيامة . فيأوون الى الامر الذي يتضمن الجواب عن ذلك السؤال الخاص . »

(فتوحات : ٢ : ٨٤)

(يتبع)